كشف الغمة
عن
أسباب فرقة الأمة
فى ضوء القرآن الكريم

تأليف

د. السيد سيد أحمد محمد نجم

دكتوراه فى التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن – جامعة المدينة العالمية

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

مُقَدِّمَة

الحمد لله ﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان – ١) أحمده تعالى وأشكره ، جعل القرآن ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل – ٨٩)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أنزل كتابه هداية للعالمين ، ورحمة للمؤمنين ، وشفاء لما فى صدور الناس أجمعين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى كان خلقه القرآن؛ يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويعمل بمحكمه، ويؤمن بمتشابهه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ساروا على نهجه، واقتفوا أثره، وتمسكوا بهديه، فعزوا وسادوا ، وملكوا وقادوا ، ومن تبع هديهم ، ولزم سنتهم إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً .

" أما بعد "

فإن من أكبر المصائب التى ابتليت بها هذه الأمة وفتكت فى سواعد قواها، وأطاحت برايات مجدها، الاختلاف والتفرق، وصدق الله - وَعَزَّ وَجَلَّ - إذ يقول ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1].

ولا يخفى على كل لبيب أن هذا التفرق جعل الأمة مطمعاً للأعداء الذين يتربصون بها الدوائر ، تتداعى عليها كل قوى البغى والعدوان أملاً فى أن يأخذ كل منها حصته من الغنيمة وليشف كل منها حقده وغليله من الأمة العربية والإسلامية، بل اتحدت كل قوى الشر فى هذا الزمان على الإسلام والمسلمين؛ يساندهم فى ذلك كثير من الرويبضات[2] ممن أضاع دينه وضميره وعقله ؛ حتى أحتلوا بعضها احتلالاً مباشراً ، واحتلوا بعضها الآخر اقتصادياً وفكرياً – إلا ما رحم ربنا – وَعَزَّ وَجَلَّ – .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية (٤٦) .

(٢) الروبيضة : الرجل التافه أى الحقير ينطق فى أمر العامة .

لم تكن الأمة على ما هى عليه الآن ، بل كان تاريخها حافلاً بالأمجاد والعزة والكرامة. فهى أمة جعلها الله – ﷻ – خير أمة أخرجت للناس ، فماذا حدث لها ؟

إن المتأمل فى حال الأمة اليوم وما وصلت إليه من القهر والضعف والهوان ليًصاب بغصة فى القلب تدمى النفوس [١].

توالت على هذه الأمة القرون لينشأ فى صفوفها الصراع والتصدع نتيجة لتراكمات صنعها التشرذم والتفرق بين طوائف المسلمين والاعتداد بالرأى والتعصب له ، فكل واحد له مذهب ، فى نظره أصوب ، وإلى الحق أقرب ، وتناسوا شرع ربهم ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [٢].

ولأعداء الإسلام باع لا ينكر فى زرع النزاع بين صفوف الأمة ، وتمزيق نخاعها. ناهيك عما تدبره الأيدى الصهيونية والاستعمارية من مخططات لضرب الأمة من الخارج والداخل منوعة فى الوسائل ، وأبناء الأمة بين جاهل بتلك الأسباب أو غافل عنها [٣] .

أضف إلى ذلك الإعلام الذى له دور فعال فى نشوب النزاعات والخلافات والتفرق، فهو محرك أساسى لذلك .

هذا بخلاف ما بُليت به الأمة من الداخل من أفكار شاذة عن مجتمعنا وإسلامنا من تيارات يتصادم أفكارها مع أفكار ومعتقدات الأمة الإسلامية، وما أفكار الليبراليين والعلمانيين منا ببعيد ، فهم يكتبون فى صحفنا ما يناقض الثوابت وأصول الدين أو يقولونه فى نواديهم ، هجوم غير مسبوق على بلادنا وعلى رموزها وقياداتها فى افتتاحيات الصحف والمجلات ، الأخبار والتحليلات ، المقابلات المكتوبة والمشاهدة ، التصريحات ، تسريب معلومات مغلوطة

(١) الأمة العربية إلى أين ؟ مقال على شبكة الأنترنت .
(٢) سورة النجم ، الآية (٣٢) .
(٣) تفرق الأمة وأسبابه – مغسلة ستى بنت محمد – مقال على شبكة الإنترنت .

ومغرضة من هنا وهناك .

وأنا من هذا المقام أحذر كل غيور على وطنه ، لأن المسألة أخطر مما يتصور البعض ، فهذا هو المفكر الغربى (آرنولد هوتنغر) يقول موضحاً استراتيجية الغرب الخطيرة ، يقول (نحن نتمسك دائماً بسياسة " فرق تسد " وأن تصنع الدواعى والأسباب التى تدفع هؤلاء إلى التحارب والتقاتل ، بينما ننشغل نحن بتنسيق مصالحنا وسياساتنا ، وسيكون بمقدورنا دوماً أن نبعث بقوات دولية لتلك المناطق بدعوى حفظ السلام والاستقرار "[1].

لهذه الأسباب كلها ولغيرها استعنت بالله – تعالى – على الكتابة فى هذا الموضوع راجياً منه سبحانه القبول والسداد ، آملاً أن تبعث العزيمة فى النفوس الغيورة على مستقبل هذه الأمة ، وذلك خلال سطور هذا البحث .

وقد جعلته فى مقدمة وفصلين وخاتمة .

(١) الأقلية الليبرالية – والصراع الداخلى المفتعل – مقال من موقع صيد الفوائد .

المقدمة : **قد تناولت فيها أهداف البحث وغاياته بإجمال** .

والفصل الأول : **الأسباب الداخلية للفرقة** ، **ويشتمل على عدة مباحث** :

- المبحث الأول : عدم الاعتصام بالله وكتابه .
- المبحث الثانـــى : ترك الحكم بما أنزل الله .
- المبحث الثالـــث : عدم فهم النصوص فهما سليماً .
- المبحث الرابـــع : العصبية البغيضة .
- المبحث الخامس : الجهـــل .
- المبحث السادس : الغلو فى الدين .
- المبحث السابـــع : التشبه بالكافرين وإتباع سننهم .
- المبحث الثامـــن : اتباع الهوى .
- المبحث التاسـع : الابتداع .
- المبحث العاشـر : التشنيع على أولى الأمر والتقول عليهم وتأليب الناس ضدهم .
- المبحث الحادى عشر: تقديم الرأى على قول الله وقول رسوله (ﷺ)
- المبحث الثانى عشر : الإعجاب بالرأى .
- المبحث الثالث عشر : استحكام قوة الحسد فى النفوس .
- المبحث الرابع عشر : قطع الأرحام .
- المبحث الخامس عشر : وجود بعض من العلماء الذين انحرفت عقائدهم.

والفصل الثانى : **الأسباب الخارجية للفرقة** ، **ويشتمل على ثلاثة مباحث** :

- المبحث الأول : مكائد الكفار للمسلمين .
- المبحث الثانـــى : الاستعمار وأثره على فرقة الأمة .
- المبحث الثالـــث : الغزو الفكرى وأثره على فرقة الأمة .

وأما الخاتمـــة : **فتشتمل على أهم ما توصلت إليه فى هذا البحث** .

أسباب فرقة الأمة

تمهيد

لقد فهم المسلمون الأولون روح هذا الدين الحنيف ، واختلفوا فى فهم نص من كتاب الله أو سنة رسول الله ، ولكنهم – مع هذا الخلاف – كانوا متحدين فى المبادىء والغايات لم يكفر بعضهم بعضاً ، بل كانوا يداً واحدة على من عاداهم. ثم خلف من بعدهم خلف جعلوا دينهم لأهوائهم ، فتفرقت الأمة إلى شيع وأحزاب ومذاهب وعصبيات، واستباح بعضهم دماء بعض ، وكان بأسهم بينهم شديداً، فطمع فيهم من كان لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، فذهبت ريحهم، وتجرأ عليهم أعداؤهم ، وانتقصوا بلادهم من أطرافها ، كل هذا ودعاة الفرقة سادرون فى غيهم، ماضون فى طريقهم ، لا يدفعهم إلى هذا الطريق الشائك إلا أحد أمرين : إما الجهل بمبادىء الإسلام الصحيح، أو الكيد لهذا الدين الحنيف . لقد لقى الإسلام على يد هؤلاء وأولئك ما لقى من نكبات ومصائب ، ولولا قوة تعاليمه وصفاء منبعه واتساق عقيدته مع الفطرة الإنسانية لحرمت الإنسانية من مزاياه وفضائله[1].

والخلاصة أن من ينظر ويتأمل فى أحوال الأمة الإسلامية يرى أن العلاقات بينهم تعرضت لشىء من الاهتزاز ، فغلب عليها القطيعة بدل التواصل ، والبغضاء بدل المحبة ، وهذا يجعلنا أمام ظاهرة خطيرة لابد من تشخيص دوافعها ، وخصوصاً إذا علمنا أن هذه الدوافع ليست غضباً لله ورسوله ودينه ؛ إنما هى دوافع دنيوية – إلا من رحم الله جل وعلا – .

وبمشيئة الله تعالى سنتناول فى الصفحات التالية أهم هذه الأسباب التى أدت إلى الفرقة والخلاف بين الأمة الإسلامية .

---

(١) من مقدمة الشيخ محمود شلتوت لكتاب : إسلام بلا مذاهب للدكتور / مصطفى الشكعة ، ص ٢٥ وما بعدها – ط الدار المصرية اللبنانية – الطبعة العشرون .

الفصل الأول

المبحث الأول

من أسباب الفرقة : عدم الاعتصام بالله وكتابه .

تعريف الاعتصام فى اللغة والاصطلاح :

أولاً : الاعتصام فى اللغة :

العصمة فى كلام العرب بمعنى المنع ، وعصمة الله لعبده أن يعصمه مما يوبقه ، تقول عصمه يعصمه عصما منعه ووقاه ، وفى التنزيل قوله – تعالى – : ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾[1] أى : لا معصوم إلا المرحوم [2] .

ويقول ابن فارس : (عصم) العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة ، والمعنى فى ذلك كله معنى واحد ؛ من ذلك العصمة أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه ، واعتصم العبد بالله تعالى إذا امتنع ، واستعصم : التجأ ، وتقول العرب أعصمت فلانا : أى هيأت له شيئاً يعتصم بما نالته يده أى يلتجىء ويتمسك به [3] .

والخلاصة أن الاعتصام فى اللغة جاء بعدة معان وهى : المنع والاتقاء والحفظ والحماية والالتجاء ، وكل هذه المعانى متقاربة وتدور فى فلك واحد .

ثانياً : الاعتصام فى الاصطلاح :

عرفه المفسرون بعدة معان :

فقال الزمخشرى : الاعتصام بالله هو التمسك بدينه والالتجاء إليه فى دفع

---

(١) سورة هود ، من الآية (٤٣) .

(٢) لسان العرب لابن منظور ، مادة (عصم) (٤٠٣/١٢) ط : دار صادر – بيروت – الأولى، وتاج العروس للزبيدى (١٠٠/٣٣) ط : دار الهداية – تحقيق/ مجموعة من المحققين .

(٣) مقاييس اللغة ، لابن فارس (٣٣١/٤) ط : دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م – الثانية – ت / عبد السلام هارون .

شرور الكفار ومكايدهم[١] .

وقال الشوكانى : الاعتصام بالله التمسك بدينه وطاعته [٢] .

وجمع الشيخ الطاهر بن عاشور بين التعريف اللغوى والاصطلاحى للاعتصام فقال : "الاعتصام افتعال من عصم ؛ وهو طلب ما يعصم أى يمنع وذلك بالاجتماع على هذا الدين وعدم التفرق ليكتسبوا باتحادهم قوة ونماء[٣] .

من خلال ما تقدم يتبين لنا أن الاعتصام فى الاصطلاح يأتى بمعنى التمسك بالدين والوثوق بوعد الله والالتجاء إليه .

الاعتصام ونبذ الفرقة فى السياق القرآنى :

من مقاصد الدعوة إلى الله – ﷻ – الحرص على ائتلاف القلوب ، واجتماع الكلمة ، ووحدة الصف ، والبعد عن التفرق والاختلاف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وهذا الأصل – وهو الاعتصام بحبل الله – هو من أعظم أصول الإسلام ، ومما عظمت وصية الله تعالى به فى كتابه ، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ، ومما عظمت به وصية النبى فى مواطن عامة وخاصة "[٤].

(١) الكشاف للزمخشرى (٤٢٢/١) ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت – ت / عبد الرزاق المهدى .

(٢) فتح القدير للشوكانى (٣٧٦/١) ط : دار الفكر – بيروت .

(٣) التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور (٣١/٤) ط : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م – ت : محمد الطاهر بن عاشور .

(٤) مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى (٣٥٩/٢٢) ط : مكتبة ابن تيمية – الثانية – ت : عبد الرحمن النجدى .

وقد دلت النصوص الكثيرة على هذا الأصل ، من كتاب الله – ﷻ – ومن سنة رسوله (ﷺ) وكذلك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، فمن ذلك :

١- قوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ (١).

قال ابن كثير – رحمه الله - : " أمرهم الله ﷻ فى الآية الكريمة بالجماعة ونهاهم عن الفرقة ، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهى عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف "(٢) أ هـ .

وقال القرطبى : " إن الله يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة ؛ لأن الفرقة هلكة والجماعة نجاة "(٣) أ هـ .

وما أجمل ما قاله سيدنا عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – عند تفسيره لهذه الآية؛ حيث قال: "يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذى أمر به وإن ما تكرهون فى الجماعة والطاعة هو خير مما تحبون فى الفرقة "(٤) .

فليت الأمة الآن تأخذ بمقولة سيدنا عبد الله بن مسعود وتترك بعض ما تحب إن كان فيه فرقة وتلزم الطاعة والجماعة وإن كان فيها ما يخالف هواهم .

٢- قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (٥).

قال الشيخ السعدى : "(ولا تنازعوا) تنازعاً يوجب تشتت القلوب وتفرقها (تفشلوا) أى تجبنوا (وتذهب ريحكم) أى وتنحل عزائمكم وتتفرق قوتكم

---

(١) سورة آل عمران ، من الآية (١٠٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٩٠/١) ط : دار الفكر العربى – بيروت – ١٤٠١ هـ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (١٥٩/٤) ط : دار الشعب – القاهرة .

(٤) أخرجه الإمام الطبرى فى تفسيره (٣٢/٤) ط : دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥ ، والسيوطى فى "الدر المنثور" (٤٨٦/٧) ط : دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣م ، والبغوى فى تفسيره (٣٣٣/١) ط : دار المعرفة – بيروت – ت / خالد العك .

(٥) سورة الأنفال ، من الآية (٤٦) .

ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة الله ورسوله "[1] أ هـ .

٣- قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [2].

٤- قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [3] .

٥- وقال تعالى:﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ﴾ "[4].

٦- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي ﴾ شَيْءٍ "[5] .

وإذا نظرنا إلى الآيات السابقة وغيرها من الآيات التى لم أذكرها – سواء التى حثت على الاعتصام بحبل الله أو التى حذرت من الفرقة والاختلاف ونهت عن التنازع الذى يؤدى إلى الفشل وذهاب القوة والهيبة نلاحظ أن جميع هذه الآيات مدنية أى أنها نزلت بعد هجرة النبى (ﷺ)إلى المدينة وإقامة دولة الإسلام على أرضها ، وفى ذلك إشارتان :

الإشارة الأولى : إلى النبى (ﷺ) وأصحابه بأن اعتصامهم بحبل الله هو سبب من أسباب بناء دولتهم ونشأتها وإظهاره على أعدائه بعد تلك السلسلة من العذاب الذى تعرض له هو وأصحابه فى مكة ، كما أن فى الآيات أيضاً تحذيراً للنبى (ﷺ) وأصحابه من الفرقة والاختلاف لأن ذلك سيؤدى إلى الضعف بعد القوة وإلى الفشل والهزيمة بعد النجاحات والتمكين .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ، لـ : عبد الرحمن بن ناصر السعدى (٣٢٣/١) ط : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، ت : ابن عثيمين .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٠٥).

(٣) سورة آل عمران ، من الآية (١٠١) .

(٤) سورة الحج ، من الآية (٧٨) .

(٥) سورة الأنعام ، من الآية (١٥٩) .

الإشارة الثانية : إلى أبناء أمة الإسلام بأن يعتصموا بحبل الله ويلجأوا إليه ويحتموا بجنابه حتى يعودوا إلى مجدهم وعزهم ، فلا يمكن أن تقوم لهم قائمة إلا بالسير على خطى الحبيب محمد (ﷺ) ولن تعود إلى الأمة عزتها وكرامتها إلا إذا اعتز أبناؤها بالإسلام ونبذوا الفرقة والخلافات [1].

طرف مما جاء فى السنة النبوية والآثار حول الاعتصام :

جاءت وفرة كثيرة من الأحاديث النبوية تؤكد أهمية الاعتصام بالله وبكتابه ، ومن ذلك ما يلى :

١- ما أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة – رضي الله عنه – أن النبى (ﷺ) قال : **"إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال "**[2].

قال الإمام النووى – رحمه الله – : " قوله : ولا تفرقوا : أمر بلزوم جماعة المسلمين وتآلف بعضهم ببعض ، وهذه إحدى قواعد الإسلام [3] " أ هـ .

٢- وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن النبى (ﷺ) قال : **"يد الله مع الجماعة "**[4].

٣- وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – عن رسول الله (ﷺ) قال : **"عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الإثنين أبعد ،**

---

(١) الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات ، د/ محمود هاشم عنبر ص (٥٥٩) .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه – كتاب : الأقضية باب : النهى عن كثرة المسائل من غير حاجه – ح رقم (١٧١٥) ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت – ت / محمد فؤاد عبد الباقى .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم (١١/١٢) ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت – الثانية ١٣٩٢ هـ .

(٤) أخرجه الإمام الترمذى فى سننه (٤٦٦/٤) ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت – ت / أحمد محمد شاكر وآخرون ، وإسناده متكلم فيه كما ذكر أهل العلم .

ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة "[1].

٤- وأخرج مسلم عن جابر أن النبى (ﷺ) قال : **" إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم "**[2].

وأما الآثار فكثيرة أيضاً ، منها :

١- عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه كان يخطب ويقول : **" يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذى أمر به ، وإن ما تكرهون فى الجماعة خير مما تحبون فى الفرقة "**[3] ، وقال أيضاً فى معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ قال : حبل الله الجماعة [4].

٢- وقال على بن أبى طالب : " اقضوا ما كنتم تقضون ، فإنى أكره الاختلاف حتى يكون للناس جماعة أو أموت كما مات أصحابى "[5].

٣- وقال ابن عباس فى معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [6] ،وقوله : ﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [7] ، قال : أمر الله

---

(١) أخرجه ابن حبان فى "صحيحه" (٤٣٦/١٠) ط : مؤسسة الرسالة – بيروت – الثانية – ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م – ت/ شعيب الأرناؤوط – حديث صحيح ، صححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٠٩/٣) .

(٢) أخرجه مسلم فى "صحيحه" كتاب : صفة القيامة والجنة والنار – باب : مثل الجنة مثل النخلة – ح (٢٨١٢) .

(٣) أخرجه السيوطى فى "الدر المنثور" (٤٨٦/٧) ، والحاكم فى "المستدرك" (٥٩٨/٤) ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م – ت – مصطفى عبد القادر عطا .

(٤) أخرجه الطبرى فى "تفسيره" (٣٠/٤) والهيثمى فى "مجمع الزوائد " (٣٢٦/٦) ط : دار الريان للتراث / دار الكتاب العربى – القاهرة ١٤٠٧ هـ .

(٥) أخرجه البخارى فى " صحيحه " كتاب : فضائل الصحابة – باب : مناقب على بن أبى طالب – ح (٣٤٠٥) .

(٦) سورة الأنعام ، من الآية (١٥٣) .

(٧) سورة الشورى ، من الآية (١٣) .

المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة "[1]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " من قواعد الدين العظيمة التى هى من جماع الدين : تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾[2]، وأمثال ذلك من النصوص التى تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف ، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة ، وجماع السنة : طاعة الرسول "[3] أهـ.

وقد ألف الإمام الشاطبى كتاباً جامعاً فى ذلك وسماه " الاعتصام " فيه الكثير من الفوائد .

فحرى بالجميع – لاسيما بالداعى إلى الله – ﷻ – أن يتمثلوا ما دلت عليه النصوص السابقة من الاجتماع على الحق والدعوة إليه والبعد عن الفرقة والاختلاف وتمزيق صفوف المسلمين وتشتيت كلمتهم .

ثمرات الاعتصام بحبل الله :

للاعتصام بحبل الله تعالى ثمرات عظيمة فى الدنيا والآخرة ، دل على ذلك الكتاب والسنة الصحيحة ، ومن ذلك ما يلى :

١- **الاعتصام بحبل الله** فيه امتثال لأمر الله – ﷻ – ، وفيه السمع والطاعة لأمر الله فى قوله – ﷻ – ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [4].

---

(١) أخرجه الطبرى فى "تفسيره" (٣٣٠/٥) ، والسيوطى فى " الدر المنثور " (٢٨٩/٢) وغيرهما .
(٢) سورة الأنفال ، من الآية (١) .
(٣) مجموع الفتاوى (٥١/٢٨) .
(٤) سورة آل عمران ، من الآية (١٠٣) .

٢- **الهداية إلى الصراط المستقيم** :

قال تعالى ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١] .

يقول الإمام الشوكانى : " أرشدهم إلى الاعتصام به ليحصل لهم بذلك الهداية إلى الصراط المستقيم الذى هو الإسلام "[٢] أ هـ .

٣- **نصر الله وتأييده لمن اعتصم به** :

قال – تعالى – ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٣] .

٤- **أن الله – تعالى – يتولى من اعتصم به وينصره ويؤيده** :

قال – ﷻ – ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[٤] .

٥- **الدخول فى رحمة الله ونيل فضله وهدايته** :

قال – تعالى – ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[٥] .

فالاعتصام بالله هو مدار السعادة وآية الفلاح وطريق النجاة فى الدنيا والآخرة ، والاعتصام بحبله يعصم من الضلال ، ويحفظ من الهلاك ، ويورث حفظ العبد ودخوله فى رحمة الله – ﷻ – ويحميه من أسباب الشر ، وكيد الأعداء ، ومكر الشيطان ، وشهوات النفس ، ومضلات الفتن .

---

(١) سورة آل عمران ، من الآية (١٠١) .
(٢) فتح القدير (٣٦٧/١) .
(٣) سورة النساء ، الآية (١٤٦) .
(٤) سورة الحج ، من الآية (٧٨) .
(٥) سورة النساء ، الآية (١٧٥) .

المبحث الثانى

من أسباب الفرقة : ترك الحكم بما أنزل الله

التعريف اللغوى والشرعى للحكم

أولاً : التعريف اللغوى :

جاء فى مختار الصحاح " ح ك م : الحكم : القضاء وقد حكم بينهم يحكُم بالضم حُكماً وحكم له وحكم عليه ، والحكم أيضاً الحكمة من العلم ، والحكيم العالم، وصاحب الحكمة والحكيم أيضاً : المتقن "[1] أ هـ .

وجاء فى مفردات القرآن للأصبهانى : "حكم : منع منعاً لإصلاح ، ومنه سميت اللجام حكمة الدابة؛ فقيل حكمته وحكمت الدابة منعتها بالحكمة"[2] أ هـ.

ثانياً : التعريف الشرعى :

يستفاد من أقوال العلماء أن الحكم هو : خطاب الشارع إلى المكلفين بالاقتضاء (أمر ونهى بقسميهما) والتخيير (الإباحة) والوضع (سبب وشرط ومانع وأحكام الصحة والبطلان والرخص)[3].

تحكيم الشريعة ومنزلته :

لقد كثرت الفتن وتنوعت وتعددت ، وإن مما يدمى القلب ويدمع العين ما

---

(١) مختار الصحاح ، لأبى بكر الرازى (٦٢/١) ط : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥ – ١٩٩٥م – ت – محمود خاطر .

(٢) المفردات فى غريب القرآن ، لأبى القاسم الحسين بن محمد الأصبهانى (١٢٦/١) ط : دار المعرفة – لبنان – ت / محمد سيد كيلانى .

(٣) ينظر : الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف الكويتية (٨/١٨) ط : دار السلاسل – الكويت – الثانية .

نسمع عنه فى عصور الأمة المتأخرة من الحكم بغير ما أنزل الله والتحاكم إلى غير شريعة الله تعالى - ؛ حتى صار سمة عامة لكثير من بلاد المسلمين وأصلاً من أصول دساتيرها .

ولعل هؤلاء قد تناسوا أن تحكيم الشريعة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة والإيمان ، والآيات فى ذلك كثيرة جداً ، وسأكتفى بذكر بعض النماذج :

١- قال – تعالى – فى قصة يوسف – عليه السلام – ودعوته إلى الله فى السجن : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١) .

٢- قال – تعالى – ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢) .

٣- قال – تعالى – ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٣) .

٤- قال – تعالى – ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾(٤) .

٥- قال – تعالى – ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(٥) .

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٤٠) .
(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٥٦) .
(٣) سورة القصص ، الآية (٦٨) .
(٤) سورة الأنعام ، الآية (١١٤) .
(٥) سورة الرعد ، من الآية (٤١) .

٦- قال – تعالى – ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(١).

وغيرها من الآيات الكثير .

وكلام الأئمة – رحمهم الله – فى هذا الباب طويل(٢) ، ليس هذا محلها .

فلا شك أن تنحية شرع الله – تعالى - ، وعدم التحاكم إليه فى شئون الحياة من أخطر وأبرز مظاهر الانحراف فى مجتمعات المسلمين ، ولقد كانت عواقب ذلك ما حل بالمسلمين من أنواع الفساد وصنوف الظلم والذل والمحق .

لذلك فرض الله تعالى الحكم بشريعته ، وأوجب ذلك على عباده وجعله الغاية من تنزيل الكتاب ، قال – تعالى – : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾(٣).

ولا شك أن تطبيق الشريعة الإسلامية فى مصلحة الجميع ولا ضرر على أحد من تطبيقها ، قال – تعالى – : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٤).

ولنعلم – أيضاً – أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، فخالق البشر الحكيم العليم هو الأعلم بمن خلق ويعلم ما يصلح نفوسهم وما تستقيم به حياتهم على مر العصور ، فأحكام الشريعة توافق الفطرة السليمة ، وتسمح بالحريات التى ليس فيها تعد على حقوق الآخرين ، وتكفل الحرية التى لا تؤدى إلى الإباحية والفوضى بما يفسد حياة العقلاء ، ومن يقول بأن الشريعة لا تصلح

---

(١) سورة النساء ، من الآية (٦٥) .

(٢) ينظر كتاب : الحكم بغير ما أنزل الله – أحواله وأحكامه – للدكتور/ عبد الرحمن بن صالح المحمود – ط : دار طيبة للنشر والتوزيع .

(٣) سورة النساء ، من الآية (١٠٥) .

(٤) سورة المائدة ، من الآية (٥٠) .

لهذا الزمن فهو إما إباحى لا خلاق له وهمه شهواته وقد اتبع هواه والشريعة لا توافق نزواته الشيطانية ، وإما جاهل بشريعة الإسلام السمحة فهو يعارضها لجهله بمحاسنها ، قال الله – تعالى – : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾[1].

وفى الحديث عنه (ﷺ) أنه قال : (يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهن – وذكر منها - : وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)[2]، وصدق الله – تعالى – ورسوله (ﷺ) ؛ فإن الناظر إلى واقع بلاد المسلمين – الآن – يرى ما وقع فى تلك البلاد من المصائب ، وأنواع الفرقة والعداوة بينهم ، وكذا التقاتل والتناحر ، كما ظهر الفقر والتدهور الاقتصادى ، مع أن فى بلاد المسلمين – كما هو معلوم – أعظم الثروات وبمختلف الأنواع ، وأعظم سبب فى ذلك هو تنحية شرع الله ، والتحاكم إلى غيره[3] .

(١) سورة القصص ، من الآية (٥٠) .

(٢) أخرجه ابن ماجة فى " سننه " (١٣٣٢/٢) ط : دار الفكر – بيروت – ت/ محمد فؤاد عبد الباقى ، وأبو نعيم فى "حلية الأولياء" (٣٣٤/٨) ط : دار الكتاب العربى – بيروت – الرابعة ١٤٠٥ هـ ، والحديث صححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب .

(٣) للاستزادة حول موضوع تحكيم الشريعة ينظر كتاب : فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف فى وجوب تعظيم الشريعة وتحكيمها – ط : دار اليسر – القاهرة .

المبحث الثالث

من أسباب الفرقة : عدم فهم النصوص فهماً سليماً

كان السلف – رحمهم الله – يعظمون النص فى قلوبهم ، حتى إن أحدهم لا يتجرأ على أن ينسب اجتهاده لنص ؛ خشية أن يكون الخلل فى فهمه هو ، فيبقى النص متعالياً سامياً ، مادام أن المسألة فيها أخذ ورد ، وأحياناً يكونون أكثر صراحة؛ فيشيرون إلى أن رأيهم أو موقفهم هو رأى أو اجتهاد وليس أكثر .

أما الآن فإنك إذا أردت الظفر بالمعنى والحجة الأقرب إلى الصواب خرج عليك خصوم النص الشرعى فى كافة قضاياهم التى يصادمون بها النصوص والأحكام الشرعية بدعوى أنهم يخالفون فهماً معيناً للنص الشرعى وليس مخالفة لذات النص الشرعى ، وقد يصاغ ذلك بأشكال مختلفة .

ومن هنا أدى عدم فهم النصوص فهماً سليماً إلى نتائج سيئة حيث أخذت كل فرقة تؤول النصوص لصالحها ، وتقوية ما تذهب إليه من أفكار وآراء ، ومصداق ذلك أنك ترى النص الواحد من الكتاب أو من السنة يفسر بعدة أفكار متعارضة فى بعض الأحيان حسب ما تذهب إليه كل طائفة ، وصار بعضهم يعيب البعض الآخر، وذموا أهل السنة ، وسخروا من مفاهيمهم ، وفرحوا بما عندهم ، وصار حال أهل السنة معهم كما قال الشاعر :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم[1] .

وكان لهذه المواقف نتائج ظاهرة هى تفرق الأمة الإسلامية وظهورهم طوائف ، كل طائفة لا تسمع للأخرى بعد أن تحجرت العقول، وجمد كل ذى رأى

(١) هذا قول المتنبى ، ينظر : شرح ديوان المتنبى المسمى : التبيان فى شرح الديوان ، لأبى البقاء العكبرى (٣٣٩/١) ط : دار المعرفة – بيروت – ت : مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، تاج العروس للزبيدى (١٢٤/١) ط : دار الهداية – ت : مجموعة من المحققين .

على رأيه ، وقدم فهمه على مفاهيم من هو أفقه منه ، واستنكف أن يرجع عما تقرر فى ذهنه ، وهى قضية طالما وقفت حجر عثرة فى طريق الدعوة إلى الإصلاح واجتماع الكلمة قديماً وحديثاً [1].

ولنقف عند نماذج بسيطة توضح لنا ما قررته سابقاً ؛ لأن هذا المجال كبير ويحتاج إلى بحث مستقل .

وأنا أشير هنا إلى ما وقع من أهل الانحراف والأهواء والبدع إذ حرفوا فى دلالات نصوص الوحى ، وحملوا كلام الله – ﷻ – وكلام رسوله على غير معناه الصحيح ، فحرفوا الكلم عن مواضعه .

فأهل الضلال والبدع قديماً وحديثاً يستدلون بنصوص الكتاب والسنة ونجد فى كلامهم وفى كتبهم : قال الله ، وقال الرسول ، فهل يعنى هذا أنهم على حق؟ الجواب : لا ، لأنهم حملوا كلام الله على غير معناه الصحيح .

الخوارج الأوائل الذين قتلوا خيرة الصحابة – رضي الله عنهم أجمعين – قتلوهم وهم يستدلون بآيات من القرآن ، قتلوا عليا - رضي الله عنه - ومع ذلك قتلوه بنصوص القرآن ، لكن تأولوه على غير تأويله ، وأخبر النبى (ﷺ)عن صفتهم فقال **" يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم "**[2].

ومن ذلك أن عمرو بن الحمق قال : "طعنت عثمان تسع طعنات منها ثلاث لله وست لغير الله "[3] ، سيدنا عثمان – رضي الله عنه – الذى كانت تستحى منه الملائكة يطعن باسم الله !

والجهمية نفوا عن الله أسماءه وصفاته ، واستدلوا على ذلك بنصوص القرآن

---

(١) أهم أسباب الخلاف – مقال على موقع : دعاة أون لاين .

(٢) أخرجه البخارى فى "صحيحه" كتاب : المناقب – باب : كان النبى (ﷺ) تنام عينه ولا ينام قلبه .

(٣) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل – لـ : محمد بن الطيب الباقلانى (٥٢٦/١) ط : مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان – الأولى – ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م – ت/ عماد حيدر .

والسنة ، وكذلك المعتزلة والباطنية كلاهما حملوا كلام الله وكلام رسوله على غير معناه الصحيح . وإن كانت بعض هذه الفرق التى ظهرت فى صدر الإسلام اندثرت فى هذه العصور المتأخرة بأسمائها لكنها بقيت بمضمونها ومعتقداتها ، فظهر فى هذه العصور المتأخرة من تطاول على كلام الله وكلام رسوله ، وبدأ يستشهد فى ضلالاته التى ينشرها بين الناس بأدلة من القرآن والسنة ليلبس على عامة الناس ، فوقع بعض العامة فى شىء من الريبة والتردد .

وقد ظهرت مؤخراً بدعة – وليست بجديدة – وهى ما يسمى بإعادة قراءة النص ، يرددها بعض المنتسبين للمثقفين ، والذين أرادوا أن يغيروا ويبدلوا فى شرع الله - ﷻ -، ولا ندرى ما المراد بإعادة قراءة النص ؟ هل معناه تنزيل النصوص على ما جدّ من الحوادث ؟ فهذا أمر مسلم ولا ضرر فيه ، ولا يزال العلماء - قديماً وحديثاً - كلما جدّت حادثة ونزلت نازلة التمسوا لها دليلاً فى الكتاب والسنة، والتمسوا النظائر والأشباه لها ، لكن أصحاب هذه البدعة لا يريدون هذا المعنى ، وإنما يريدون أن يفهم النص فهماً جديداً لم يفهمه السلف وأهل العلم قبلهم ، ولهذا جنوا على نصوص القرآن والسنة ، وافتروا على الله وعلى رسوله ، لأنهم حملوا كلام الله وكلام رسوله ما لا يحتمل .

وقد أدى ذلك كله إلى تشرذم الأمة وافتراق كلمتها ، ولو أنهم ردوه إلى الله ورسوله وإلى فهم سلف الأمة لكان خيراً لهم وأقوم وأدعى لعدم التشرذم .

هذا طريق السالكين لربهم ... فاسلك حباك الله بالإيمان
ولتتبع هدى النبى المصطفى ... فبهديه تنجو من النيران
وازهد أخى فى متاع زائل ... واقهر غرور النفس والشيطان
واعمل لجنات النعيم وطيبها ... فنعيمها يبقى وليس بفان

وقد ذكر الأئمة – رحمهم الله – أن المفسر لكتاب الله – تعالى – لابد له من شروط ؛ منها : علمه بدلالة السياق ؛ فلا يمكن أن يفسر القرآن بمجرد علمه بالألفاظ وحدها ، بل لابد أن ينظر بدقة وإمعان فى السياق القرآنى ؛ حتى يعرف قصد المتكلم ، يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – : قال شيخنا : وقد تأملت من هذا الباب ما شاء الله فرأيت الصحابة أفقه الأمة وأعلمها ... . وإلى ساعتى هذه ما

علمت قولاً قاله الصحابة ولم يختلفوا فيه إلا كان القياس معه ..." [١].

وقال الإمام الشاطبى – رحمه الله - : "وكثير من فرق الاعتقادات تعلق بظواهر من الكتاب والسنة فى تصحيح ما ذهبوا إليه مما لم يجر له ذكر ولا وقع ببال أحد من السلف الأولين "[٢].

وقال – أيضاً - : "كما أن اعتبار النصوص من غير اعتماد على الفهم الوارد عن السلف فهى مؤدية إلى التعارض والاختلاف ، وهو مشاهد معنى ، ولأن تعارض الظواهر كثير مع القطع بأن الشريعة لا اختلاف فيها "[٣].

وقال الإمام أحمد – رحمه الله – : " أصول السنة عندنا التمسك بما عليه أصحاب رسول الله(ﷺ) وكل بدعة ضلالة "[٤].

نسأل الله – تعالى – أن يوفقنا لطاعته ورضاه ، وأن يجنبنا البدع والزلل فى كل أعمالنا وأقوالنا وحركاتنا ، ونسأله أن يعيننا على سلوك الصراط المستقيم ، على خطى نبينا الكريم ، بفهم سلفنا الأبرار . آمين .

---

(١) إعلام الموقعين (٥٧/٢) .
(٢) الموافقات (٧٢/٣) .
(٣) الموافقات (٢٨٢/٣) .
(٤) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (٦٩/١) ط : مؤسسة الرسالة – بيروت .

المبحث الرابع

من أسباب الفرقة : العصبية البغيضة

من حين لآخر تطالعنا الأحداث عن اشتباكات بين فريق وفريق فتسفك دماء الأبرياء ، وتهدم الممتلكات ، وتيتم الأطفال ، وترمل النساء بسبب التعصب البغيض لرأى أو لشخص أو لحزب ، بعيداً عن منطق الحوار والأعراف ، وبعيداً عن سلطة القانون والشرع الإلهى ، وكأننا نعيش العصر الجاهلى ومقالة أحد شعرائها – والذى يعبر عن واقع ذلك الزمان الغابر قبل بزوغ فجر الإسلام – حيث قال :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت ، وإن ترشد غزية أرشد[1]

إنه لأمر محزن ومخزى وبعيد عن روح وسماحة الإسلام – الذى حارب هذه العادات وهذا السلوك الذى تحركه نزعة التطرف - ، بل هى جريمة لا يقبلها شرع ولا عقل ولا تقره العقول والفطرة السليمة .

فحفظ النفس إحدى الضروريات الخمس التى قال الله – تعالى – فيها - : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله - : "فلابد إذا ظلمه ظالم أو ظلم الناس ظالم وسعى فى الأرض بالفساد ، وأخذ يسفك دماء الناس ويستحل الفروج ويهلك الحرث والنسل ونحو ذلك من أنواع الضرر التى لا قوام للناس بها ؛ أن يدفع هذا القدر ، وأن يعاقب الظالم بما يكف عدوان أمثاله "[3] أ هـ .

---

(١) القائل هو : دريد بن الصمة ، ينظر : العقد الفريد لابن عبد ربه (١٤٧/٥) ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م ، خزانة الأدب للبغدادى (٢٩٨/١١) ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٩٩٨م – ت/ محمد نبيل طريفى وإميل يعقوب .

(٢) سورة الأنعام ، من الآية (١٥١) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٦٥/١٥) .

وقال – أيضاً - : " الفساد إما فى الدين ، وإما فى الدنيا ، فأعظم فساد الدنيا قتل النفوس بغير الحق ، ولهذا كان أكبر الكبائر ، بعد أعظم فساد الدين الذى هو الكفر "[1] أ هـ .

ونقل الشاطبى – رحمه الله – فى " الموافقات " اتفاق سائر الملل على حفظ الضروريات الخمس ، ومنها حفظ النفس ، فقال :

" قد اتفقت الأمة ؛ بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس ، وهى : الدين ، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل ، وعلمها عند الأمة كالضرورى ، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين ، ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه ، بل عُلمت ملاءمتها للشريعة بمجموعة أدلة لا تنحصر فى باب واحد "[2] أ هـ .

فالعصبية البغيضة كانت وما تزال إحدى المعاول الهدامة لوحدة الأمة الإسلامية ؛ حيث غطت على أبصار وقلوب أتباعها فحجبتهم عن النظر إلى الآخرين بعين الأخوة والترابط العام ومحاولة تألف القلوب وجمع الكلمة ، فأخذت كل طائفة تمجد أفكارها ، وتتحزب حولها ، وتشنع على الآخرين ، فكم سفكت بسببها من الدماء ، وكم خربت من مدن عامرة ، لأن سلطان العصبية لا عقل عنده، والتعصب – كما يقول بعض العلماء - : (ظاهرة ذميمة لا يؤدى إلا إلى التفرقة والتعادى ... وثمرة التعصب الاختلاف والفرقة والتباغض).[3]

وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم ، وذموا من أخذ أقوالهم بغير حجة ، فقال الشافعى – رحمه الله – : "مثل الذى يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٧٦/١) ط : مطبعة السنة المحمدية – القاهرة – الثانية – ١٣٦٩هـ - ت/ محمد حامد الفقى .

(٢) الموافقات للإمام الشاطبى (٣٨/١) ط : دار المعرفة – بيروت – ت / عبد الله دراز .

(٣) مقدمة فى اختلاف المسلمين وتفرقهم – طارق عبد الحليم – محمد العبدة – (ص/٨٤) ط: دار الأرقم – الثانية – ١٩٨٦م .

يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدرى " ذكره البيهقى[١] .

وقد قال ابن مسعود – رضي الله عنه – : "لا يقلدن أحدكم فى دينه رجلاً إن آمن آمن، وإن كفر كفر فإنه لا أسوة فى الشر "[٢].

وقال الشنقيطى – رحمه الله - : "ومعلوم أن المقلد الصرف لا يجوز عده من العلماء ولا من ورثة الأنبياء "[٣].

والتعصب له صور كثيرة ، منها : التعصب للمال والدنيا والإخلاد إليها ، ومنها التعصب الدينى ، ومنه التقليد المذموم الذى يقدم فيه الأتباع قول من يقلده على قول الله ورسوله ، ومنها التعصب لجماعة أو حزب ، فتجد المنتمى إليه يدين بالولاء لأصحاب جماعته دون غيرهم من المسلمين ، وهذا مذموم لا محالة .

وقد وصفت السنة المطهرة التعصب لشيخ أو عالم حبر واتباعه حتى لو خالف الدليل بالعبادة .

ومما تنفطر منه القلوب فى عصرنا الحاضر تقليد بعض صغار الأسنان لبعض من ينتسبون للدعوة أو الزاعمين لحرية الآراء والإبداع فى سب وتجريح العلماء والدعاة إلى الله ، وتناسوا أن لحوم العلماء مسمومة ، فليتقوا الله – تعالى – وليعدوا للسؤال أمام الله – عز وجل – جواباً من الآن على خوضهم فيما لا يحسنون وتعاليهم على من بذلوا أوقاتهم وأموالهم وأبدانهم فى الدعوة إلى الله – تعالى – وقد يكونون من أوليائه – سبحانه – الذين توعد الله بمحاربة من بارزهم بالعداوة ، فاللهم اهدهم وأصلح فساد قلوبهم .

---

(١) المدخل إلى السنن الكبرى ، للإمام البيهقى (٢٢١/١) ط : دار الخلفاء للكتاب الإسلامى – الكويت – ١٤٠٤ هـ - ت/د : محمد ضياء الرحمن الأعظمى .

(٢) الاعتصام ، للإمام الشاطبى (٣٥٩/٢) .

(٣) أضواء البيان (٢٥٩/٧) ط : دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م – ت/ مكتب البحوث والدراسات ، والمسألة فيها تفصيل ليس هذا محله ، والفرق بين التقليد والاتباع ، ومتى يجوز التقليد وما هى شروطه ؟ كل هذا ليس هنا محله .

المبحث الخامس

من أسباب الفرقة : الجهـــل

لقد حث الله – تعالى – على العلم ، وبين منزلة العلماء ، والثواب العظيم لهم عند الله – ﷻ – قال – تعالى - : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾(١) .

وذم الله – تعالى – الجهل وحذر منه وبين أنه سبب إعراض المعرضين عن دعوة الأنبياء والمرسلين ، فقال – تعالى – مخبراً عن قول نوح لقومه : ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾(٢) .

والجهل – أيضاً – يدفع الناس للشرك بالله – ﷻ - ، قال – تعالى – عن موسى – عليه السلام – وقومه : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾(٣) .

ويعتبر ظهور الجهل وانتشاره من علامات قرب وقوع الساعة ، ففى الحديث عن رسول الله (ﷺ) قال : **" إن بين يدى الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج ، والهرج : القتل "**(٤).

والجهل المقصود هنا هو عدم التفقه فى الدين عقيدة وشريعة ، وهو الجهل بالسنة وأصولها وقواعدها ومناهجها ، وليس مجرد عدم تحصيل المعلومات.

كان عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – يقول : عليك بالعلم قبل أن يقبض ،

---

(١) سورة المجادلة ، من الآية (١١) .
(٢) سورة هود ، الآية (٢٩) .
(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٣٨) .
(٤) أخرجه البخارى فى "صحيحه" – كتاب : الفتن – باب : ظهور الفتن – ح (٧٠٦٢) .

وقبضه أن يذهب أهله ، أو قال : أصحابه[1] .

فالجهل خطر عظيم يقود الناس إلى البدعة والإحداث فى الدين والسير على غير هدى ، وخير مثال على ذلك ما حدث وعبد الله بن مسعود حاضر ؛ وذلك أن أناساً من أهل الكوفة خرجوا إلى الجبانة يتعبدون ، واتخذوا مسجداً ، وبنوا بنياناً ، فأتاهم عبد الله بن مسعود ، فقالوا : مرحباً بك يا أبا عبد الرحمن لقد سرنا أن تزورنا ، قال : ما أتيتكم زائراً ، ولست بالذى أترك حتى يهدم مسجد الجبان ، إنكم لأهدى من أصحاب رسول الله (ﷺ) ؟

أرأيتم لو أن الناس صنعوا كما صنعتم من كان يجاهد العدو ؟! ومن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟ ومن كان يقيم الحدود ؟ ارجعوا فتعلموا ممن هو أعلم منكم ، وعلموا من أنتم أعلم منهم ، واسترجع فما برح حتى قلع أبنيتهم وردهم[2] .

ويزيد الشاطبى – رحمه الله – المسألة تفصيلاً ويبين أن من أسباب الفرقة : ترأس الجهلة ، وأن الاختلاف المؤدى للفرقة لا يصدر أبداً من العلماء الراسخين فى العلم ، فيقول : " فاعلموا أن الاختلاف فى بعض القواعد الكلية لا يقع فى العاديات الجارية بين المتجرين فى علم الشريعة العاملين بمواردها ومصادرها ، ثم يذكر أن الاختلاف المؤدى للفرقة والذى يلقى العداوة بين المسلمين إنما يقع حينما يعتقد الإنسان فى نفسه أو يعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد فى الدين – ولم يبلغ تلك الدرجة – فيعمل على ذلك ويعد رأيه رأياً وخلافه خلافاً ، ولكن تارة يكون ذلك فى جزئى وفرع من الفروع ، وتارة يكون فى كلى وأصل من أصول الدين – كان من الأصول الاعتقادية أو من الأصول العملية – فتراه آخذاً ببعض جزئيات الشريعة فى

---

(١) أخرجه : الهيثمى فى "مجمع الزوائد " (١٢٦/١) ط : دار الريان للتراث – القاهرة – ١٤٠٧ هـ ، والطبرانى فى " المعجم الكبير (١٧٠/٩) ط : مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م – الثانية – ت/ حمدى عبد المجيد السلفى ، وذكره الآجرى مرفوعاً ، وهو صحيح .

(٢) شرح السنة ، للإمام : الحسين بن مسعود البغوى (٥٥/١٠) ط : المكتب الإسلامى – دمشق – بيروت – الثانية – ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م – ت/ شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش .

هدم لكيانها حتى يصير منها ما ظهر له بادىء رأيه من غير إحاطة بمعانيها ولا رسوخ فى فهم مقاصدها ، وهذا هو المبتدع وعليه نبه الحديث الصحيح "[1] أ هـ .

ولقد جاء التحذير من ترؤس الجهلة على لسان رسول الله (ﷺ) ، وأخبر أن ذلك من أشراط الساعة ، فقال (ﷺ) : **" إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر "**[2].

والتماس العلم عند الأصاغر لا يكون إلا بترأسهم وتصدرهم للفتيا من جهة ، وذهاب العلماء الراسخين أو تنحيتهم من جهة أخرى .

يقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – " ألا إن الناس لم يزالوا بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم "[3].

وليس المراد هنا بالأصاغر صغار السن ، فقد كان عمر – رضي الله عنه – يستشير الصغار ، وكان القراء أهل مشورته كهولاً وشباناً ، ولكن الجهلة الذين يقولون برأيهم وبغير فقه فى الكتاب والسنة فيضلون ويضلون ، وأهل البدع أصاغر فى العلم.

يقول ابن حجر – رحمه الله – : "إن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ، ورفع العلم ، وذلك من جملة الأشراط ومقتضاه أن العلم ما دام قائماً ففى الأمر فسحة "[4].

وهنا تجدر الإشارة إلى عدة تنبيهات :

أولاً : إن من الجهل : عدم العمل بالعلم ، ولقد ذم الله – تعالى – علماء السوء

---

(١) الاعتصام (١٧٢/٢ وما بعدها) .

(٢) أخرجه الطبرانى فى " المعجم الكبير " (٣٦١/٢٢) عن أبى أمية اللخمى ، حديث صحيح ذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة .

(٣) ينظر : كنز العمال للمتقى الهندى (١٩٤/١) ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م – ت/ محمود عمر الدمياطى ، أثر صحيح .

(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى ، للإمام ابن حجر العسقلانى (١٤٣/١) ط : دار المعرفة – بيروت - - ت/ محب الدين الخطيب .

الذين يقولون ما لا يعملون ، فقال – سبحانه - : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1] .

لذلك كان الصحابة – رضي الله عنهم – حريصين على العمل بالذى علموه ، ويخافون من السؤال يوم القيامة ، يقول أبو الدرداء – رضي الله عنه – : " إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لى : وقد علمت فماذا عملت فيما علمت"[2] ، ويوصينا – رضي الله عنه – فيقول : " لا تكون تقياً حتى تكون عالماً ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملاً "[3].

ثانياً : إن من الجهل : عدم فهم الدليل ، ووضعه فى غير موضعه ، وهذا نتيجة قصور العلم ، لذلك وصف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الخوارج بأنهم **" يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم "**[4] .

يقول ابن تيمية – رحمه الله - : "وكانت البدع الأولى مثل" بدعة الخوارج " إنما هى من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه "[5] أ هـ .

ثالثاً : من الجهل : المنازعة فى المسألة قبل استكمال العلم وإحكامه وجمع حواشيه وأطرافه . فيظن المسلم أنه بقراءته للقرآن قد استكمل العلم فيذهب للمنازعة ، وإنكار ما يجهله ، فلقد أنكرت أم يعقوب على عبد الله ابن مسعود لعنه للواشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، قالت له : ما هذا ؟ قال : وما لى لا ألعن من لعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى كتاب الله " قالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته ، فقال :

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٤٤) .

(٢) أخرجه الطبرى فى "تفسيره" (٢٦٨/٧) ، وابن أبى شيبة فى "المصنف" (١٨٢/٩) ط : مكتبة الرشد – الرياض – الأولى – ١٤٠٩ هـ - ت/ كمال يوسف الحوت .

(٣) الموافقات للشاطبى (٧٥/١) .

(٤) أخرجه البخارى فى "صحيحه" كتاب : استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم – باب : قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم – ح (٦٩٣٠) .

(٥) مجموع الفتاوى (٣٠/١٣) .

والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١) .

رابعاً : إن من الجهل : تجزئة الشريعة والأخذ ببعض النصوص دون بعض أو الزعم بالاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة النبوية .

يقول الشاطبى – رحمه الله - : " ومدار الغلط فى هذا الفصل إنما هو على حرف واحد والجهل بمقاصد الشرع وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض ، فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها "(٢) أ هـ .

فينبغى للمسلم أن يتنبه إلى مخططات أعداء الدين الموجهة للمسلمين من محاولتهم تجزئة الشريعة والحد من العمل بها وتعطيل بعض أحكامها لإضعاف المجتمع المسلم ، ومحاولتهم الدائمة لتشكيك الناس فى السنة النبوية .

ولقد علم أعداء الدين أهمية العلم الشرعى فى بقاء الأمة المسلمة وقوتها ، وعلموا – أيضاً – خطورة الجهل وكيف أنه أقوى سلاح لتفريق هذه الأمة ومن ثم السيطرة عليها ، فعمدوا جاهدين إلى نشر الجهل بالدين الإسلامى بين صفوف أبنائه ، ومحاولة فصل المسلم عن دينه ، ثم استغلال الجهلاء لبث مخططاتهم الاحتلالية ولمد نفوذهم على ثروات المسلمين بل وعقولهم (٣).

فالجهل مصيبة – أعاذنا الله منه - ، والجهل سبب رئيس لوجود الافتراق ، والجهلاء هم مادة الفرق ، وهم وقودها .

---

(١) سورة الحشر ، الآية (٧) ، والأثر أخرجه البخارى فى "صحيحه" كتاب : التفسير – باب ، وما أتاكم الرسول فخذوه – ح (٤٨٨٦) .

(٢) الاعتصام (٢٤٤/١) .

(٣) أسباب التفرق – موقع الدرر السنية .

المبحث السادس

من أسباب الفرقة : الغلو فى الدين

الغلو فى الدين آفة قديمة فى جميع الأمم السابقة ، وقد كانت هذه الآفة الخطيرة سبباً لهلاكها ؛ كما قال (ﷺ) : " فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين "[1]. وقبل الدخول فى الموضوع لابد أن نعرج على كتب اللغة لنستوضح معنى الغلو حتى يسهل لنا معرفته والحديث عنه .

المعنى اللغوى للغلو :

جاء معنى " الغلو " فى لغة العرب على أن هذه الكلمة تدل على : مجاوزة الحد والقدر ، ولذلك يقال : غلا يغلو غلواً إذا ارتفع . ويقال : غلا الرجل فى الدين والأمر غلواً إذا جاوز حده ومعناه[2] .

وشرعاً : عرفه ابن تيمية – رحمه الله – بقوله : " مجاوزة الحد بأن يزاد فى الشىء فى مدحه وذمه على ما يستحق "[3].

بعد ذلك نعود إلى ما ذكرناه آنفاً وهو أن الغلو ظاهرة قديمة وجدت قبل الإسلام، فقد قص الله – ﷻ – علينا فى كتابه الكريم ما كان من أهل الكتاب من غلو ، على سبيل التحذير من سلوك مسالكهم ، وفعل مثلما فعلوا ، فقال – ﷻ – فى شأن النصارى وما وقع منهم فى غلوهم فى عيسى ابن مريم – عليه السلام – : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾[4] ،

---

(١) أخرجه ابن حبان فى "صحيحه" (٩٨٣/٩) ، والنسائى فى "السنن الكبرى" (٤٣٥/٢) ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١١ هـ - ١٩٩١م – ت/ عبد الغفار سليمان البندارى وسيد حسن ، كلاهما عن ابن عباس – رضى الله عنهما – وهو حديث صحيح .

(٢) لسان العرب (١٣٤/١٥) ، تاج العروس (١٢٣/٣٠) .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١٢٦/٣) .

(٤) سورة التوبة ، من الآية (٣١) .

فقد غلوا فى أحبارهم ، وغلوا فى رهبانهم ، فكانوا يحلون لهم الحرام فيحلونه ، ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه ، وجعلوا عيسى ابن مريم إلهاً مع الله – ﷻ – وهذا من الغلو .

وهذه الأمة ليست بمنأى عن الغلو ، ولذا قص الله – ﷻ – علينا هذه الأخبار ؛ لكى نحذر أن نسلك مسلكهم ، ولما جاء الإسلام وجدت بعض بوادر الغلو، لا سيما فى العبادة ، فى عهد النبى (ﷺ) ، وكان النبى (ﷺ) يبادر إلى علاجها ، ويحذر من الغلو .

روى البخارى عن أنس بن مالك قال : – رضي الله عنه –: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبى (ﷺ) يسألون عن عبادته (ﷺ) فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، وقالوا : أين نحن من النبى (ﷺ) قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ! قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبداً . وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر . وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله (ﷺ) فقال :**"أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى"**[1] .

وفى عهد الصحابة – رضي الله عنهم– وبعد وفاة رسول الله (ﷺ) ظهرت فرق غلت فى أمور اعتقادية ، فظهرت الخوارج ، وظهرت القدرية ، وكان الصحابة – رضي الله عنهم– يتصدون لذلك – أيضاً - ، ويبينون بطلان هذا المسلك ، ويحذرون من مغبة الغلو، ويرشدون الناس إلى الطريق الصحيح والوسطية التى جاء بها الإسلام .

واستمر مسلسل الغلو فى تاريخ الأمة ، ينتقل من عصر إلى عصر ، حتى لم يسلم منه عصر ، إلى أن وصل إلى عصرنا الحاضر ، فقد ظهرت مظاهر عدة من مظاهر الغلو ، وما نشهده على الساحة مما اكتوت به البلاد من أحداث عنف وتكفير وتفجيرات ليس ببعيد ، ومازال العلماء – أيضاً – يتصدون لهذه الظاهرة

(١) أخرجه البخارى فى "صحيحه" كتاب : النكاح – باب : الترغيب فى النكاح – ح (٥٠٦٣) .

الخطيرة التى تفرق الأمة .

مظاهر الغلو :

للغلو مظاهر كثيرة ، منها :

١- تفسير المفسر للنصوص بما يتعارض مع روح الشريعة ومقاصدها ، فيشدد ذلك المفسر على نفسه وعلى الخلق ، وما تفسيرات الشيعة منا ببعيد ، وما حوته كتبهم من ضلالات وافتراءات .

٢- التكلف والتعمق فى معانى النصوص ، وتحميلها ما لا يحتمل من أجل موافقة الرأى والمذهب .

٣- الغلو فى مدح الأنبياء والأولياء والصالحين .

٤- الغلو فى ذم المبتدعين والأحزاب والجماعات .

٥- ومن ذلك – أيضاً – ما هو متعلق بالأحكام الشرعية كإلزام النفس والآخرين بما لم يلزم الله – ﷻ – به ، مثل تحريم الطيبات ، وقد أباحها الله – تعالى - .

٦- ومن مظاهر الغلو أيضاً – وملامحه عدم الأخذ بالضرورات التى الأصل فيها المنع ، ولكن تجوز عندما تأتى أسبابها ، كضرورات المسافر والمريض والشيخ الكبير ، وغير ذلك .

أسباب الغلو :

الغلو الذى نتحدث عنه له أسباب ودوافع ترجع إلى مخالفة الشرع الحنيف؛ ومن ذلك :

١- الجهل : وهو رأس كل بليه ، وقد سبق الحديث عنه .

٢- الإعراض عن العلماء والبعد عنهم ، وعدم التلقى منهم .

٣- التحريف للمعانى واتباع المتشابه وعدم الجمع بين الأدلة .

٤- التعامل المباشر مع ظواهر النصوص من القاصرين فى الفهم من غير الرجوع إلى العلماء .

٥- الاجتهاد من غير أهله ، والكلام فى الأمور الخلافية .

٦- اتباع الهوى والجدل بالباطل .

٧- غياب شرع الله فى الأرض وعدم تحكيمه ، وقد سبق الكلام عن ذلك .

٨- الانحلال الخلقى والسلوكى فى ظل غياب دور العلماء والأخذ عنهم واستشارتهم[١] .

الآثار المترتبة على الغلو :

ظاهرة الغلو من الظواهر المردودة وغير المقبولة ، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بالنهى عنها والتحذير منها ، وذلك لما يترتب عليها من الآثار والأضرار ، ومنها :

١- الضلالة بعد الهدى ؛ لأن الغلو ضلالة وزيغ .

٢- الاستدراك على الشريعة وتنحيتها عن الحكم : ولذلك فالغلاة والمبتدعة والعلمانيون والعقلانيون لسان حالهم يقول : أن الشريعة ناقصة وأنهم سدوا الفراغ الذى تركه – النبى (ﷺ) – والعياذ بالله - ، وأن الشريعة قد تتغير وتتقلب بتقلب الأحوال والأزمان بما يناسب أهواءهم .

٣- تشويه صورة الإسلام عند غير المسلمين ، عندما يفهمون أن الإسلام يمثله مجموعة من الغلاة ، وأقرب مثال على هذا توجه حوالى مليونين من الشيعة إلى كربلاء أخذوا يضربون رؤوسهم ويسفكون دماءهم والعالم يشاهد طعنهم أنفسهم وسفك الدماء .. لماذا ؟! قالوا من أجل الحسين ، والإسلام من ذلك

(١) الغلو فى الدين – حقيقته – أسبابه – آثاره – علاجه – محمد بن محمد المهدى – من مقالات شبكة النور .

براء .

٤- الفرقة بين الأمة وبث روح الخلاف بين أبناء الأمة الواحدة .

٥- الوقوع فى شر المعاصى والبدع ، أو فى تغيير المنكرات بمنكر أكبر منه .

علاج الغلو :

لقد جاءت الشريعة الإسلامية باليسر والتيسير، وجاء النهى عن الغلو وذمه، وعدم التشدد ، ودعت إلى الرحمة والرأفة ، ومدحت التوسط والاعتدال ، وقد بذل العلماء – قديماً وحديثاً – جهوداً مضنية للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة، فعقدوا الندوات والمحاضرات ، وألفت الكتب ، واتبعوا وسائل كثيرة للقضاء على ظاهرة الغلو ، ومن هذه الوسائل التى تعتبر علاجاً للغلو :

١- الدعوة إلى إزالة أسباب الغلو والتزام منهج أهل السنة والجماعة .

٢- العلم بحقيقة الإيمان وعلاقته بالأعمال ، والإيمان بالمتشابه والعمل بالمحكم.

٣- التلقى عن العلماء ورعاية حقوقهم .

٤- العناية بمنهج التعليم .

٥- تحكيم شريعة الله فى الأرض .

٦- منع دعاة الإلحاد والفسق والفجور من نشر أفكارهم وانحرافاتهم وحماية الدين من المستهزئين .

٧- دعوة الشباب المغالى إلى مناظرته فى آرائهم ومعالجة الغلو الحاصل عندهم بالحوار والإقناع .

٨- ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم .

٩- الاعتصام بالكتاب والسنة ومجانبة البدع والحذر منها – وهو أعظم أنواع العلاج - .

١٠- الاستعانة بالله – ﷻ – توكلاً ودعاء :

وإذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده[1]

١١- القيام بالمناصحة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . وذلك بالطرق المشروعة ، على جميع مستويات الأمة .

١٢- أن يترك الإنسان ما لا يعنيه ، وألا يتصدى لما ليس له أهل ، لاسيما قضايا الأمة العامة ، قال – تعالى - : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾[2] .

وأخيراً : أسأل الله – تعالى – أن يثبتنا وإياهم على الحق ، وأن يحفظ بلادنا من كل سوء ، ويصلح ولاة أمورنا ، وأن يرد عن بلادنا كيد الكائدين ، وحسد الحاسدين ، وظلم الظالمين ، وأن يديم علينا نعمة الإسلام والأمن والرخاء. إنه ولى ذلك والقادر عليه .

(١) سبل السلام (٢٠٧/٤) والبيت – لعلى بن أبى طالب - رضي الله عنه - .
(٢) سورة النساء ، من الآية (٨٣) .

المبحث السابع

التشبه بالكافرين واتباع سننهم

من الأمور التى ابتلى بها المسلمون فى العقود الأخيرة أن أصبح غير المسلمين نموذجاً لهم ، يقلدونهم فى مظهرهم وطريقة عيشهم ونظرتهم إلى الأمور .. بل حتى فى لهجتهم وألفاظهم ، ويتعاملون معهم تعامل المبهور ، بينما فى المفهوم الإسلامى الأصيل لابد للمسلم كفرد وللمسلمين كمجتمع أن يحافظوا على طريقة عيشهم التى أمرهم الإسلام بها .

وليس معنى ذلك أن الإسلام يقف موقف المعارض الرافض للأخذ بتقدم الحياة ، فالنبى (ﷺ) قد أخذ برأى سلمان الفارسى فى غزوة الأحزاب لما أخبره سلمان أن الفرس يتحصنون فى حروبهم بالخندق ؛ لأن الحرب خدعة ، بل المنهى عنه والمذموم هو التشبه بالكفار بما يكون سبباً فى اندثار الدين والقضاء على الشريعة وفساد الأخلاق ، وما يتعارض مع أحكام الإسلام ، وأما ما لم يكن كذلك فليس بمذموم ولا يمنع الشارع منه ؛ كالمشاريع التى تعود بالخير والفائدة على الإسلام والمسلمين فى جميع المجالات .

لقد حذر النبى (ﷺ) من تقليد الكافرين واتباع طريقهم وسيرتهم ، وبين أن ذلك من أسباب الفرقة التى تدب فى الأمة ، ففى الحديث عن رسول الله (ﷺ) قال: **" ليأتين على أمتى ما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك ، وإن بنى إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا ملة واحدة ، قالوا : ومن هى يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى "**[1].

(١) أخرجه الترمذى فى "سننه" (٢٦/٥) وقال : هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه ، والحاكم فى " المستدرك " (٢٠٨/١) كلاهما عن عبد الله بن عمرو ، وذكره الآجرى فى الأربعين حديثا للآجرى ، وهو حديث صحيح .

وفى حديث آخر عن أبى واقد الليثى أنه قال : " خرجنا مع رسول الله (ﷺ) إلى حنين ، ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها ينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول (ﷺ) : **"الله أكبر إنها السنن ، قلتم – والذى نفسى بيده – كما قالت بنو إسرائيل لموسى** : ﴿ **قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾[1] **، لتركبن سنن من كان قبلكم "**[2].

وجاءت النصوص الكثيرة التى تأمرنا بمخالفة الكفار ، وتنهى عن التشبه بهم، ولقد خصت الفرقة بمزيد ذكر فى كتاب الله – وَجَلَّ - حيث جاء النهى عن مشابهة الكافرين فى تفرقهم خاصة ، قال – تعالى - : ﴿ **وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[3] .

ويأمر الله – تعالى – نبيه بمخالفة الكافرين وعدم اتباع أهوائهم ، فيقول : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[4] ، ويقول – سبحانه - : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ** ﴾[5] .

مفاسد التشبه بالكافرين وآثاره :

نذكر باختصار مفاسد التشبه بالكافرين وآثار ذلك ؛ وهى كثيرة جداً ، منها:

١- الشك فى عقائد الدين وعدم الاطمئنان إلى ما بشر به القرآن الكريم ، فلا تكاد

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٣٨) .

(٢) أخرجه الطبرانى فى " المعجم الكبير " (٢١/١٧) ، والهيثمى فى " مجمع الزوائد " (٢٤/٧)، والترمذى فى " سننه " (٤٧٥/٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والحديث صححه الألبانى فى "جلباب المرأة المسلمة" (٢٠٢) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٠٥) .

(٤) سورة الجاثية ، الآية (١٨) .

(٥) سورة الرعد ، الآية (٣٧) .

تجد متشبهاً بالكافرين يؤمن بالقرآن إيماناً صحيحاً ، بل منهم من يطعن فى القرآن بدعوى البحث العلمى وأنه لا صلة لذلك بالاعتقاد ، ومنهم من ينكر البعث والنشور ، ومنهم من ينكر نبوة رسول الله (ﷺ) ، ومنهم من ينكر أشراط الساعة والملائكة والجن ، ولا يعبأ بنصوص الشريعة .

٢- المجاهرة بالطعن فى الدين وانتقاص عقائده والاعتراض على شرائعه فى المجالس والمدارس والمجلات ووسائل الإعلام الأخرى ، وها هم يعترضون على الأحكام المتعلقة بالمرأة من ميراث وطلاق وزواج .

٣- تضييع الفرائض واستحلال المحرمات والتجاهر بالمنكرات .

٤- التركيز على إفساد المرأة ، والوضع فى حسبانها أن الإسلام ظلمها ولم يعطها حقوقها .

ولو تفحصنا تلك الآثار الماضية وغيرها لعلمنا منشأ أدوائنا وأسباب عللنا لوجدناها كثيرة ، ولكن من أهمها :

١- الانحراف العام عن الكتاب والسنة ، ولقد ذاق المسلمون ويلات ذلك من الذل والعبودية ، والهزائم المتتالية ، والتفرق والتبعية .

٢- انبهار المسلمين بالتقدم المادى مع جهلهم بحقيقة الحضارة الغربية ، فظاهرها بريق ولمعان ، وباطنها دمار للأخلاق والقيم .

٣- ضعف التربية والتوجيه للأجيال المسلمة الناشئة .

٤- القنوات الفضائية التى تستقبل لوثات الشرق والغرب ؛ لتخرج جيلاً ممسوخاً فى خلقه وعقيدته[١] .

فالأمة الإسلامية تحتاج إلى عودة صادقة وأوبة حقيقية ، وأن نربى نفوسنا وأجيالنا على الاعتصام بالكتاب والسنة ، وجعلها منهاج حياتنا ، وعلينا أن نعرف

(١) للاستزادة ينظر كتاب : مظاهر التشبه بالكفار فى العصر الحديث وأثره على المسلمين لـ : أشرف بن عبد الحميد بن محمد بارقعان .

حقيقة الحظيرة الغربية ، ونكشف عوارها لأمة الإسلام ، وأن نربى أنفسنا ومن تحت أيدينا على العلم والتفقه فى الدين ، وأن نعيش مع شباب الأمة تربية وتوجيها وتعليماً وتأديباً ، وفطرة الخير ما زالت ، ولكن أين من ينميها ويحييها ؟ !

وعلينا أن نربى أنفسنا وأجيالنا على عزة الإسلام وعظمته ، والتبصر بما يحيكه الكفار ضد أهل الإسلام .

المبحث الثامن

من أسباب الفرقة : اتباع الهوى

الهوى لغة :

تدور مادة هذه الكلمة فى قواميس اللغة على : محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه[1] .

واصطلاحاً : ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[2] .

واتباع الهوى من أهم أسباب نشأة كثير من الفرق الضالة ، والطوائف المنحرفة ؛ لأن أصحاب هذه الفرق قدموا أهواءهم على الشرع أولاً ، ثم حاولوا جاهدين أن يستدلوا بالشريعة على أهوائهم ، وحرفوا النصوص والأدلة ؛ لتوافق ما هم عليه من البدع ، ثم جعلوا الشريعة مصدراً ثانوياً ، نظروا فيها بناء على ما قرروه وأصلوه ، ولأجل ذلك كان السلف يطلقون على أهل البدع ، وفرق الضلالة لفظة : " أهل الأهواء " .

ولقد جاء الأمر صريحاً لنبينا محمد (ﷺ) باتباع الشرع الحنيف ، والنهى عن اتباع الهوى ، فقال – سبحانه - : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[3] .

قال أبو العالية : " تعلموا الإسلام ، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه ، وعليكم

---

(١) ينظر : لسان العرب (٣٧٢/١٥) ، وتاج العروس (٣٢٧/٤٠) ، ومختار الصحاح (٢٩٣/١) .

(٢) ينظر : التقرير والتحبير فى علم الأصول – لـ : ابن أمير الحاج (٣٢١/٢) ط : دار الفكر – بيروت – ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م ، شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه لـ : سعد الدين التفتازانى (٢٠/٢) ط : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م – ت/ زكريا عميرات .

(٣) سورة الجاثية ، الآية (١٨) .

بالصراط المستقيم فإنه الإسلام ، ولا تحرفوا الإسلام يميناً وشمالاً ، وعليكم سنة نبيكم والذى كان عليه أصحابه ، وإياكم وهذه الأهواء التى تلقى بين الناس العداوة والبغضاء "[1] .

وقال (ﷺ) أيضاً - : **" إن مما أخشى عليكم بعدى بطونكم وفروجكم ، ومضلات الأهواء "**[2].

ولقد أنكر عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – على الرجل الذى قال له : الحمد لله الذى جعل هوانا على هواكم ، فقال له ابن عباس : " الهوى كله ضلالة"[3].

وها هو عبد الله بن عمر يقول : " ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحاً بأن قلبى لم يدخله شيء من هذه الأهواء "[4].

ولقد كان السلف – رضوان الله عليهم – يقولون : احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه ، وصاحب دنيا أعمته دنياه[5] .

والدواء لهذين الدائين يكون بالصبر واليقين ، كما قال – تعالى - : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[6]

---

(١) الاعتصام للإمام الشاطبى (٨٥/١) .

(٢) أخرجه البزار فى "مسنده" (٣٠٨/٩) ط : مؤسسة علوم القرآن ومكتبة العلوم والحكم – بيروت ، المدينة – الأولى – ١٤٠٩ هـ - ت / محفوظ الرحمن زين الله ، جامع الأحاديث للسيوطى (٤١٩/٧) ط : دار الفكر – ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م – ت/ عباس صقر وأحمد عبد الجواد ، وصححه الألبانى .

(٣) الاعتصام (١٨٠/٢) ، والأثر أخرجه عبد الرازق فى "مصنفه" (١٢٦/١١) ط : المكتب الإسلامى – بيروت – الثانية – ١٤٠٣ هـ - ت : حبيب الرحمن الأعظمى .

(٤) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة – للالكائى أبو القاسم – (١٣٠/١) ط : دار طيبة – الرياض – ١٤٠٢ هـ - ت/ د. أحمد سعد حمدان .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٥/١) .

(٦) سورة السجدة ، الآية (٢٤) .

فبالصبر تترك الشهوات ، وباليقين تدفع الشبهات[١] .

والمتأمل لمعظم أسباب الفرقة يجد أنها تدور فى رحاها بين الجهل وبين اتباع الهوى والظلم ، لذلك لا اجتماع للأمة إلا بوحدتها على كتاب الله – تعالى – وسنة نبيه الكريم ، والتزام صراطه المستقيم علماً وعملاً ، حقاً وعدلاً ، وما أحوجنا إلى سؤال الله ذلك[٢] .

حقاً إن الهوى أصل كل شر ، وأساس كل بلوى ، وإحداث فى الدين على غير منهج قويم ولا طريق مستقيم .

ومن هنا يتبين لنا أن اتباع الهوى مما يوقع فى الفرقة والاختلاف والخروج عن الجماعة التى أمر الإنسان بلزومها ، وخاصة فيما يتعلق باتباع الهوى فى الديانات ، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " واتباع الأهواء فى الديانات أعظم من اتباع الهوى فى الشهوات "[٣] أ هـ .

وكان اتباع الهوى موجباً للفرق والاختلاف ؛ لأنه خروج عن الالتزام بالكتاب والسنة ، وإخراج المرء من اتباع الهوى من أعظم مقاصد الشريعة ، فإن المقصد الشرعى من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد الله اضطراراً[٤] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٥/١) .
(٢) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ، مقال على شبكة الدرر السنية .
(٣) المصدر السابق (١٣٢/٢٨) .
(٤) الموافقات للإمام الشاطبى (١٦٨/٢) .

المبحث التاسع

من أسباب الفرقة : الابتـــداع

إن من أعظم ما فرق الأمة الإسلامية وأوهن جسدها : الابتداع فى دين الله – تعالى - ، إذ لو فتح الباب لكل إنسان أن يقول فى الدين برأيه ، وأن يحدث فى الشرع ما يستحسنه بذوقه لتفرقت سبل الضلالات بالجماعة المسلمة ، لذلك نهينا عن اتباع السبل وأمرنا باتباع الصراط المستقيم[1] ، كما يقول – سبحانه - : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] .

والابتداع هو : ما خالف الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات ، وكل من دان بشىء لم يشرعه الله ، فذلك بدعة ، وإن كان متأولاً فيه .

وعرف بعضهم الابتداع بقوله : هى الفعلة المخترعة فى الدين على خلاف ما كان عليه النبى – عليه السلام – وكانت عليه الصحابة والتابعون – رضى الله عنهم – [3].

وقد حذر النبى (ﷺ) من الإحداث فى الدين ، فقال : **" إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة "**[4] .

وقال (ﷺ) : **" إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهى جميع فاضربوه السيف كائناً من كان "**[5].

وفى حديث آخر يبين (ﷺ) أن هذه البدع وهذا الإحداث فى الدين يفرق الأمة المسلمة ويوقعها فى الاضطراب فتهتز السلطة والقيادة ، والذى من شأنه أن

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٥٣) .

(٣) تفسير حقى – لإسماعيل حقى الحنفى (٤٩٤/١٣) ط : دار إحياء التراث العربى .

(٤) أخرجه الحاكم فى "المستدرك" (٣٥/١) ، وابن ماجة فى "سننه" (١٥/١) وغيرهما .

(٥) أخرجه مسلم فى "صحيحه" كتاب "الإمارة" باب : حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع – ح (١٨٥٢) .

يريق دماء المسلمين ، لذلك يوصينا (ﷺ) بالسمع والطاعة على من تولى أمر المسلمين واجتمعت عليه كلمتهم ولو عبداً حبشياً مادام أنه يسير بهم بكتاب الله – تعالى – فالعلاج الوحيد لما ستقع فيه الأمة – وهى واقعة الآن فيه – من الاختلاف والفرقة هو اتباع سنة الرسول (ﷺ) وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ، والابتعاد عن هذه الضلالات المفرقة للجماعة ، فعن العرباض بن سارية – رضي الله عنه – قال : "وعظنا رسول الله (ﷺ) موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : إن هذه موعظة مودع فبماذا تعهد إلينا يا رسول الله ؟ قال : **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشى فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإنها ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ** "[1].

يقول الإمام الشاطبى – رحمه الله - : "والفرقة من أخس أوصاف المبتدعة؛ لأنه خرج عن حكم الله وباين جماعة أهل الإسلام"[2].

ولقد اشتد نكير ابن مسعود – رضي الله عنه – على من أحدث فى الدين وابتدع قولاً وعملاً ، ومن ذلك أنه جاء – رضي الله عنه – إلى قوم حلق جلوس فى المسجد ينتظرون الصلاة ، وفى كل حلقة رجل وفى أيديهم حصى فيقول : كبروا مائة فيكبرون ، فيقول : هللوا مائة فيهللون مائة ، ويقول : سبحوا مائة فيسبحون مائة ، فجاءهم – رضي الله عنه - مع جمع من أصحابه ووقف على إحدى تلك الحلق وقال : ما هذا الذى أراكم تصنعون ؟ قالوا : حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح ، قال : فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضع من حسناتكم شىء ! ويحكم يا أمة محمد ! ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم (ﷺ) متوافرون ، وهذه ثيابه لم تبل ، وآنيته لم تكسر ، والذى نفسى بيده إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة، قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ، قال : وكم من مريد للخير لن يصيبه ، إن رسول الله (ﷺ) حدثنا " **إن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز**

(١) أخرجه الترمذى فى "سننه" (٤٤/٥) ح (٢٦٧٦) ، والطبرانى فى "المعجم الكبير" (٢٥٧/١٨) ، وقد ضعف هذا الحديث بعض العلماء وحسنه آخرون .
(٢) الاعتصام (١١٣/١) .

تراقيهم " وأيم الله ما أدرى لعل أكثرهم منكم ثم تولى[1] .

وأسباب الضلالة والابتداع فى الدين كثيرة ، منها :

١. الجهل بالكتاب والسنة .
٢. الاعتماد على الرأى والهوى فى التعامل مع الأدلة الشرعية .
٣. الكذب والمراء والغلو والتعصب وعدم الرجوع إلى العلماء ومشورتهم .
٤. ترك القدوة وعدم التثبت والإعراض عن الحق .

ومن هنا يتبين لنا أن البدع هى سبب كل بلاء ، وعلة كل فتنه ، فقد كان المسلمون أمة واحدة وجماعة واحدة ، متآلفين على عقيدة واحدة ومنهج واحد على أيام رسول الله (ﷺ) ، ثم فى خلافة أبى بكر وعمر ، وبعد مقتل الخليفة الثانى بدأت الفتنة تطل برأسها ، ولا زال أهل الشر يسعون فى الغواية حتى قتل عثمان – رضي الله عنه – فتوالت الفتن ، وبدأت فرق الأهواء والبدع فى الظهور ، فتفرقت الكلمة ، وبدأ الانشقاق عن جماعة المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأخيراً أذكر هنا بحديث رسول الله (ﷺ) : **" إن الله حجب التوبة عن صاحب كل بدعة "**[2] .

---

(١) أخرجه الدارمى فى "سننه" (٧٩/١) ط : دار الكتاب العربى – بيروت – الأولى – ١٤٠٧هـ - ت/ فواز أحمد زمرلى وخالد السبع – ح (٢٠٤) ، وينظر : الباعث على إنكار البدع والحوادث – لـ : عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة – ط : دار الهدى – القاهرة – الأولى – ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م – ت / عثمان عنبر ، والأثر صححه الألبانى فى "إصلاح المساجد" ص ١١ .

(٢) أخرجه الهيثمى فى " مجمع الزوائد " (١٨٩/١٠) ، والبيهقى فى "شعب الإيمان" (٥٩/٧) ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١٠ هـ - ت / محمد السعيد بسيونى ، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب .

المبحث العاشـــر

من أسباب الفرقة:

التشنيع على أولى الأمر والتقول عليهم ، وتأليب الناس ضدهم

لقد تضافرت نصوص الشريعة التى تعنى بجماعة المسلمين وتؤكدها ، والتى تبرز الأهمية التى أولاها الإسلام لمبدأ الاجتماع والوحدة ، وتكاثرت النصوص المحذرة من الفرقة ، الناهية عن سلوك الشذوذ من الجماعة .

وهذه العناية تهدف لتحقيق العبودية على مستوى الجماعة كما هى على مستوى الأفراد .

وإن من الأسباب التى تفرق الأمة وتدعو للخروج على الجماعة وإمامها ما يفعله البعض من التشنيع على أولى الأمر ، ولهم فى ذلك طرق كثيرة ، منها :

- التقول على أولى الأمر من علماء وأمراء ، والكذب عليهم .
- محاولة تحقير أولى الأمر والحط من شأنهم بالاحتجاج بزلاتهم ، والعمل على هتك سترهم ، وتصيد أخطائهم ، وتضخيمها ونشرها .

إن حب الدنيا والطمع فى الرئاسة يدفع أصحاب الأهواء إلى الكذب على ولاة الأمر ، وإلى تزييف الحقائق ، وتأويل المواقف ، كل ذلك ليحصل مرادهم من تأليب الناس على الولاة ، فانظر كيف أن بعض بنى مروان كان يشيع أن عليا - رضي الله عنه - لم يكن خليفة راشداً ، بل كان ممن ينازع على الملك[1] - وكذبوا فيما قالوا - . بل دفع حب الدنيا والموالاة والمعاداة فيها إلى سب على – رضي الله عنه ، وسب بعض الصحابة الكرام ، والدعوة إلى ذلك ، والتجاسر على التقول عليهم[2] .

كما أن من أسباب التقول على الولاة ورؤوس الناس أن هؤلاء الجهال

---

(١) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية (٣١٧/٨) ط : مؤسسة قرطبة – الأولى – ١٤٠٦ هـ - ت/د : محمد رشاد سالم .

(٢) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام .

أصحاب الفرقة والضلال إذا سمعوا كلاماً مجملاً من ولى الأمر زادوا فيه وحملوه ما لا يحتمل ، تقول عائشة – رضى الله عنها - : " يرحم الله عليا ، إنه كان لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال : صدق الله ورسوله ، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه فى الحديث "[1].

لذلك كان عمر – رضي الله عنه – يحتاط لنفسه من ذلك فيقول للناس : " إنى قائل مقالة قدر لى أن أقولها ، فمن عقلها ورعاها فليحدث بها حتى تنتهى به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها فإنى لا أحل له أن يكذب على "[2].

فعلى المسلم خاصة والمجتمع عامة أن يتثبت من كل كلام ينقل على العلماء وأولى الأمر ، سواء أكان ذلك عن طريق الإعلام المسموع أم المقروء أم المرئى ، ولا يطير بكل كلمة تقال ويغرر بها ، لذلك حذرنا النبى (ﷺ) من تناقل الكلام خصوصاً فى وقت الفتن ؛ فقال (ﷺ) : **"ستكون فتن صماء بكماء عمياء من أشرف لها استشرفت له وإشراف اللسان فيها كوقوع السيف"**[3].

والأصل فى طاعة أولى الأمر قوله – تعالى - : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ** ﴾[4] .

غير أن طاعة ولاة الأمر تابعة لطاعة الله والرسول (ﷺ) كما استنبط العلماء من هذه الآية : أن فعل الأمر "أطيعوا" كرر فى الأمر بطاعة الرسول ،

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٢٨١/٧) ط : مكتبة المعارف – بيروت .

(٢) أخرجه ابن حبان فى "صحيحه " (١٤٧/٢) ، وينظر : تاريخ مدينة دمشق لابن هبة الله بن عبد الله الشافعى (٢٨٤/٣٠) ط : دار الفكر – بيروت – ١٩٩٥م – ت/ محب الدين أبى سعيد عمر بن غرامة العمرى .

(٣) أخرجه أبو داود فى "سننه" (١٠٢/٤) ح (٤٢٦٤) ، والطبرانى فى "المعجم الأوسط" (٣٠٨/٨) ح (٨٧١٧) ط : دار الحرمين – القاهرة – ١٤٥١ هـ - ت/ طارق بن عوض الله ، وعبد المحسن الحسينى ، وهو حديث صحيح أصله فى الصحيحين من حديث الصحابى حذيفة بن اليمان .

(٤) سورة النساء ، من الآية (٥٩) .

ولم يكرر فى الأمر بطاعة ولاة الأمر ، واكتفى بالعطف ، وفائدة ذلك : الدلالة على أن الرسول يطاع استقلالاً ، وأن ولى الأمر يطاع تبعاً ، فلو تعارضت مع طاعة الله ورسوله فهى مطروحة ، ومقدم عليها طاعة الله ورسوله ، ومن مظاهر تعارض الطاعتين : أن يتعارض أداء الواجب الشرعى مع طاعة ولى الأمر ، فلو فرضنا أن ولى الأمر منع واجباً من الواجبات الشرعية ، فليس له طاعة فى هذا المنع ، كما لو أنه أمر أمراً يزاحم أمر الله . فأمر الله مقدم على أمره ، وطاعة الله مقدمة على طاعته ، وقد قال (ﷺ) : **" إنما الطاعة فى المعروف "**[1] .

أما مسألة الخروج على الحاكم ، وتفصيل ذلك فليس هذا محله ، وقد فصل العلماء القول فى المسألة ، فلينظر أقوالهم[2] . والله أعلم .

(١) أخرجه البخارى فى "صحيحه" كتاب : الأحكام – باب : السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية – ح (٧١٤٥) .

(٢) ينظر : تحفة الترك فيما يجب أن يعمل فى الملك – لـ : إبراهيم بن على بن أحمد الطرسوسى نجم الدين – ط : دار الطليعة – بيروت – الأولى – ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م – ت/ رضوان السيد .

المبحث الحادى عشر

تقديم الرأى على قول الله وقول رسوله (ﷺ)

من أخطر الأخطاء العقدية المستشرية : تأليه العقل فى مقابل توهين النص، أو بعبارة أخرى تقديم العقل على النقل أو الشرع .

يقول الإمام مالك بن أنس – رحمه الله - : " كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر " .

وقال الإمام الشافعى – رحمه الله - : " أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد "[1].

ويقول الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله - : " عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان ... والله – تعالى – يقول ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] .

ومع ذلك يأتى أقوام حدثاء الأسنان يدعون محبة النبى (ﷺ) وهم يخالفون أمره ، ويزيغون عن هديه، ويتحزبون إلى أحزاب وآراء، وسنته (ﷺ) واضحة، وهديه نور ، ولا نجاة لأحد إلا باتباعه ، وفى ذلك يقول (ﷺ) : **"لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به "**[3].

---

(١) قواعد التحديث لـ : محمد جمال الدين القاسمى (٣٥٩/١) ط: دار الكتب العلية – بيروت – ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م – الأولى .

(٢) الفروع وتصحيح الفروع لـ : محمد بن مفلح القاسمى (٣٧٥/٦) ط : دار الكتب العلمية – بيروت –الأولى –١٤١٨ هـ - ت/ أبو الزهراء حازم القاضى .

(٣) مشكاة المصابيح لـ : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزى (٥٩/١) ط : المكتب الإسلامى – بيروت – الثالثة – ١٩٨٥م – ت/ محمد ناصر الدين الألبانى ، وفيض القدير للمناوى (٢٩٥/٥) ط : المكتبة التجارية الكبرى – مصر – الأولى – ١٣٥٦ هـ ، والحديث صححه جماعة منهم الإمام النووى فى الأربعين ، وضعفه آخرون ، والحديث فى سنده ضعف لكن معناه صحيح .

يقول ابن القيم – رحمه الله - : " وكل من له عقل يعلم أن فساد العلم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأى على الوحى "[1].

وقد اتخذت مظاهر هذا الداء العضال فى عصرنا أشكالاً شتى ؛ منها :

١- إطلاق العنان للعقل فى فهم الكتاب والسنة من دون رجوع إلى فهم السلف لنصوصهما ، مما أدى إلى تقريرات وفهوم غاية فى الغرابة ، واختيارات غاية فى الشذوذ .

٢- تقديم المصلحة المزعومة على النص .

٣- تشجيع الليبراليين الذين ينتجهون هذا المنهج ، وفتح المجال لأقلامهم المسمومة فى الصحافة والإعلام ، والمتتبع للحقبة الأخيرة يرى ذلك جلياً واضحاً .

يقول ابن أبى العز الحنفى : "وتقديم العقل ممتنع ؛ لأن العقل قد دل على صحة السمع ، ووجوب قبول ما أخبر به الرسول (ﷺ) ، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل ، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصح أن يكون معارضاً للنقل ؛ لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شىء من الأشياء ، فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه ..." [2].

وليس معنى تقديم النقل على العقل أن الإسلام يلغى العقل كما يدعى المغرضون والطاعنون ، فإن العقل نعمة عظيمة امتن الله بها على بنى آدم وميزهم بها على سائر المخلوقات ، غير أن هذا التكريم لا يتحقق إلا إذا كان العقل مهتدياً بوحى الله ، محكوماً بشرع الله ، وبذلك ينجو صاحبه من الضلال ويهتدى إلى الحق ، أما إذا كان العقل مقدماً على وحى الله ، حاكماً على شرع الله فقد ضل صاحبه سواء السبيل ؛ كما قال – تعالى - : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ

(١) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (٦٨/١) ط : دار الجيل – بيروت – ١٩٧٣م – ت/ طه عبد الرؤوف سعد .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢١٧/١) ط : المكتب الإسلامى – بيروت – الرابعة .

أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] .

ومن هنا وقف الإسلام موقفاً وسطاً تجاه العقل ، فلم يتخذ مسلك الفلاسفة والمعتزلة الذين غالوا فى تقديس العقل وجعلوه الأصل لعلومهم ومعارفهم ، وسبيل الوصول إلى الحقائق والحكم المقدم على النقد والشرائع ، كما أن الإسلام لم يتخذ مسلك الرافضة الذين ذموا العقل وعطلوه واعتقدوا ما لا يقبل ولا يعقل من الحماقات والخرافات .

ويلخص لنا ابن تيمية – رحمه الله – العلاقة بين العقل والنقل ، فيقول : "العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح ، بل يشهد له ويؤيده لأن المصدر واحد، فالذى خلق العقل هو الذى أرسل إليه النقل ، ومن المحال أن يرسل إليه ما يفسده ، وإذا حدث تعارض بين العقل والنقل فذلك لسببين ، لا ثالث لهما ، إما أن النقل لم يثبت وإما أن العقل لم يفهم النقل "[2].

ويقول – أيضاً - : " كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول ، والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح ، ولكن كثيراً من الناس يغلطون إما فى هذا وإما فى هذا ، فمن عرف قول الرسول ومراده به كان عارفاً بالأدلة الشرعية ، وليس فى المعقول ما يخالف المنقول "[3] .

نسأل الله – تعالى – أن يجعلنا من المسلمين لوحيه ، العاملين بشرعه ، المتبعين لسنة نبيه ، الواقفين عند حدوده ، إنه سميع مجيب .

---

(١) سورة القصص ، الآية (٥٠) .
(٢) مجموع الفتاوى (٦٦٥/٧) .
(٣) المصدر السابق (٨١/١٢) .

المبحث الثانى عشر

من أسباب الفرقة : الإعجاب بالرأى

تعيش أمتنا الآن حالة من الخلاف والاختلاف ، وحالات من الحوار الذى – غالباً – ما يعقبه الشجار – إلا من رحم الله - ، فكل طائفة بآرائها متشبثة ، وكل واحد معجب برأيه ، ومتكبر فى قبول الحق ، وهذا ما حذر منه النبى (ﷺ) فى الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى وغيرهما من حديث أبى أمية الشعبانى ، قال: أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت : كيف تصنع بهذه الآية ؟ قال : أية آية ؟ قال : قلت قوله – تعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾[1] قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً ، سألت عنها رسول الله (ﷺ) فقال : **" بل أنتم ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، ورأيت أمراً لا يدان لك به فعليك نفسك ودع عنك أمر العوام ، فإن من ورائك أيام : الصبر فيهن مثل قبض على الجمر ، للعامل فيهن كأجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله"**[2] .

إن الإعجاب بالرأى ، ورفض آراء الآخرين أحد أسباب ما وصلت إليه الأمة اليوم من تخلف ، وأحد أسباب ما وصلت إليه الأمة من فرقة ، بل وأصبح الإعجاب بالرأى والتعصب له أحد المعوقات لحل ما وقعت فيه الأمة من مشاكل ، المعجب برأيه يعتمد نظرية فرعون التى عبر عنها القرآن الكريم ، فقال – سبحانه

---

(١) سورة المائدة ، من الآية (١٠٥) .

(٢) أخرجه الترمذى فى " سننه " (٢٥٧/٥) ح (٣٠٥٨) ، وأبو داود فى " سننه " (١٢٣/٤) ح (٤٣٤١) ، وابن حبان فى " صحيحه " (١٠٨/٢) وغيرهم ، وضعفه الألبانى فى "مشكاة المصابيح" (٥٠٧٢) وقال : ضعيف لكن فقرة أيام الصبر ثابتة سند الحديث ، وينظر حديث رقم (٢٣٤٤) فى ضعيف الجامع .

– على لسان فرعون : ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[1] ، فما يقوله هو الصواب وما يقوله الآخرون هو الخطأ بعينه .

ولقد حذرنا النبى (ﷺ) من ذلك ، فقال : " لولا ثلاث لصلح الناس : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه "[2].

ويكون الإعجاب بالرأى أشد خطراً عندما يصاب به صنفان من الناس ، الصنف الأول : هم العلماء ، فبعضهم لا يرى رأياً صوابا إلا رأيه فى مسألة من المسائل ، ومن خالفه فيها فهو مبتدع وضال ، والصنف الثانى : هم بعض الحكام الذين ابتليت بهم الأمة ، الذين لا يرون إلا رأيهم متبعين نفس طريقة فرعون .

إن الرأى لابد له من ضوابط ينبغى الالتزام بها حتى نجنب أنفسنا الآراء الفاسدة والمنحرفة ، ومن هذه الضوابط :

أولاً : لا يجوز أن تكون هناك آراء تخالف الشرع ، قال – تعالى - ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[3] .

ثانياً : يجب ألا يتعارض الرأى مع الكليات الخمس التى جاءت الشريعة لحفظها وهى (الدين ، النفس ، العرض ، المال ، العقل) فلا تكون الآراء لهدم تعاليم الدين ، أو قتل النفس المحرمة ، أو لأخذ أموال الناس بالباطل ، أو لانتهاك الأعراض .

ثالثاً : لابد من تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، فلا ينبغى أن تقدم المصالح الشخصية أو الحزبية على المصلحة العامة .

---

(١) سورة غافر ، من الآية (٢٩) .

(٢) شرح السنة للإمام البغوى (٣٠٩/١٤) ط : المكتب الإسلامى – دمشق – بيروت – الثانية – ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م – ت/ شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش ، وقد روى موقوفاً على أبى الدرداء – رضى الله عنه – .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٣٦) .

لقد شاور الرسول (ﷺ) أصحابه فى جميع الأمور ، ولم يكن ذلك مقتصراً على أمور الحكم والدولة والسياسة فحسب ، بل كان ذلك من دأب النبى (ﷺ) وأخلاقه ، وهكذا كان الصحابة – رضوان الله عليهم – من بعده .

وأسباب هذا المرض كثيرة ، منها :

١. الجهل .
٢. قلة الورع والتقوى .
٣. سوء النية وخبث الطوية .
٤. إطراء الناس للشخص وكثرة ثنائهم عليه مما يعين عليه الشيطان .
٥. قلة الفكر ، لأنه لو تفكر لعلم أن كل نعمة عنده هى من الله .
٦. قلة الشكر لله – ﷻ –.
٧. قلة ذكر الله – تعالى – .
٨. الأمن من مكر الله – ﷻ – .

وعلاج ذلك كله : أن يكون المرء متهماً لرأيه أبداً ، لا يغتر به إلا أن يشهد له دليل قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقلى صحيح جامع لشروط الأدلة ، وأن يقطع أسباب الإعجاب بالرأى المتقدم ذكرها .

وأخيراً : نحذر من هذه الفتنة الخطيرة التى أهلكت الكثير من الناس ، وأوردتهم الموارد ، ونذكر هنا بموقف سيدنا عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – فإنه قد خرج مرة من منزله فتبعه جماعة فالتفت إليهم وقال : علام تتبعونى ؟ فوالله لو علمتم ما أغلق عليه بابى ما تبعنى منكم رجلان[١] .

وكان خالد بن معدان – رحمه الله – إذا عظمت حلقته قام وانصرف كراهة الإعجاب والشهرة[٢] .

---

(١) إحياء علوم الدين ، للإمام : أبى حامد الغزالى (٢٧٦/٣) ط : دار المعرفة – بيروت .
(٢) تهذيب الكمال ، للحافظ المزى (٧٠/٨) ط : مؤسسة الرسالة – بيروت – الأولى – ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م – ت/د : بشار معروف .

وكان ابن مسعود – رضي الله عنه - يوصى أصحابه فيقول : " كونوا ينابيع العلم ، مصابيح الهدى ، أحلاس البيوت ، سرج الليل ، جدد القلوب ، خلقان الثياب ، تعرفون فى السماء وتخفون على أهل الأرض "[1].

فإعجاب كل ذى رأى برأيه علامة سوء وشر ، تؤدى إلى الاختلاف والشقاق، والإعراض عن دين الله – تعالى - ، وهذا العصر يسمى عصر الرأى الحر ، وكتابه ومثقفوه وإعلاميوه يربون الناس على تحرر الكلمة من أى ضوابط دينية أو أخلاقية أو عرفية ، وهل هذا التوجه إلا تربية على إعجاب كل ذى رأى برأيه ؟ وإنما ينشأ الاختلاف والافتراق ، وتعظيم الفتن بالإعجاب بالآراء ، دون ضبط كل رأى بضوابط الكتاب والسنة .

لقد أوضحت كثير من وسائل الإعلام فى محاوراتها ومناظراتها ، والعديد من برامجها ؛ تكرس إعجاب كل ذى رأى برأيه ، وتعظم مسألة حرية الرأى – زعموا – ، وتعنف من يريد ضبط الرأى بضوابط الشرع .

ونتج عن ذلك : الخصومات والمهاترات ، والسباب والشتائم ، وتصدير الأكاذيب ، وترويج الإشاعات فى كثير من القنوات الإعلامية ؛ فكل واحد معجب برأيه ، ويريد إثباته ، ولو كان مجافياً للحقائق ، مصادماً للشرائع .

ورغم كثرة البرامج الحوارية ، وتشعب الآراء واختلافها ؛ فإننا ما سمعنا عن واحد اعترف فى نهاية حوار أن الحق مع خصيمه ؛ أو أنه أخطأ فى تصوره ؛ إذ ليس المقصود فى كثير مما يلقى على الناس الوصول إلى الحق ، وإنما إثبات الرأى ، وإقناع الناس به ولو كان خطأ وباطلاً ، وهذا من أعظم الغش والخداع ، وتضييع أمانة الكلمة التى سيسأل عنها العبد يوم القيامة ، وقد أخبر النبى (ﷺ) عن وقوع ذلك ، وأرشد من أدرك زمان الاختلاف ، وتضييع الأمانات إلى الاهتمام

(١) أخرجه الدارمى فى "سننه" (٩٢/١) ط : دار الكتاب العربى – بيروت – الأولى – ١٤٠٧ هـ - ت/ فواز زمرلى – خالد العلمى ، وابن أبى شيبة فى " مصنفه " (٤٤٨/٧) .

بشأنه وترك الناس ، فعن عبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما – أن رسول الله (ﷺ) قال : **" يوشك أن يأتى زمان يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم ، واختلفوا فكانوا هكذا ، وشبك بين أصابعه، فقالوا : وكيف بنا يا رسول الله ؟ قال : تأخذون ما تعرفون وتقبلون على أمر خاصتكم ، وتذرون أمر عامتكم "**(١).

ألا فاتقوا الله ربكم ، واثبتوا على دينكم ، واحذروا الشح المطاع ، والهوى المتبع ، وإيثار الدنيا على الآخرة ، وإياكم والعجب بآرائكم ؛ فكم من رأى كان خطأ ، جر على صاحبه وبالاً كثيراً ، نسأل الله العفو والعافية ، والسلامة من الأهواء والفتن ، والموافاة على الحق والرشاد .

(١) أخرجه أبو داود فى " سننه " (١٢٣/٤) ح (٤٣٤٢) ، وابن ماجة فى " سننه " (١٣٠٧/٢) ح (٣٩٥٧) ، قال الألبانى " قال الحاكم " صحيح الإسناد " ووافقه الذهبى ، وهو كما قالا ، فإن رجاله ثقات معروفون غير عمارة هذا فقد وثقه العجلى وابن حبان وروى عنه جماعة من الثقات " سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤١٥/١) .

المبحث الثالث عشر

من أسباب الفرقة : استحكام قوة الحسد فى النفوس

يهدف الإسلام إلى بناء الفرد المسلم بناء محكماً متكاملاً ، قوة فى الإيمان والعقيدة وسلامة فى الصدر والدخيلة ، ونصاعة فى المنهج والسيرة ، وطهارة فى القلب والسريرة ، ونزاهة فى الخلق والسلوك ، ليعيش المرء فى ظل الإسلام قرير العين ، سليم القلب ، مبرأ من وساوس الضغينة والشحناء ، منزهاً عن سلوك الحسد والبغضاء ، وليس أبعد للهموم وأطرد للوساوس والغموم ولا أنصع للصفحة من الرضا بالله ، والرضا عن الله ، فى قضائه وقدره ، وفى عدله وحكمه واختياره لعباده .

يا طالب العيش فى أمن وفى دعة رغداً بلا قتر صفواً بلا قلق
خلص فؤادك من غل ومن حسد فالغل فى القلب مثل الغل فى العنق

وهناك داء عضال ، ومرض قلبى قتال، ما فشا فى أمة إلا كان نذير هلاكها، وما دب فى ديار إلا كان سبيل فنائها ، وما انتشر فى صفوف جماعة إلا كان سبب شقائها وبلائها ، إنه مصدر كل بلاء ، ومنبع كل عداء ، وأصل كل شقاء ، سلاح مضاء ، وسيف بتار ، يضرب به الشيطان القلوب فتتمزق ، والمجتمعات فتتفرق ، يُفسد المودة ، ويقطع حبال المحبة ، ويهدم أواصر القربى ؛ يغرس الضغينة والبغضاء ، ويزرع الحقد والشحناء ، وينبت العداوة ، بل يحلق الدين ، ويهدم الدنيا، ويقضى على بواعث الخير بين المؤمنين ؛ إنه الحسد ؛ تمنى زوال نعمة الله عن الغير ، وكراهية وصول الخير للغير ، وتلك خصلة ذميمة ، تعمى عن الفضائل ، وتأخذ صاحبها إلى طريق الرذائل ؛ حتى تقضى عليه بأشد المعاول ، ألا قاتل الله الحسد ، لم يزل بصاحبه حتى قتله[1] .

(١) كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة ، لإمام وخطيب المسجد الحرام عبد الرحمن السديس – (ص/٣٨١ وما بعدها) بتصرف – ط : مكتبة الرشد – مكة المكرمة – الأولى – ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م .

إصبر على حسد الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله[1]

الحسد هو داء الأمم ، وسرطان الشعوب ؛ روى الإمام أحمد ، والترمذى ؛ أن النبى (ﷺ) قال : **" دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضاء هى الحالقة ، لا أقول : تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين "** [2] . فهو الداء العضال الذى يأكل الأخضر واليابس ، ويفرق الكلمة ، ويجعل المسلمين شيعاً وأحزابا متباغضة ، وهذا العامل متمم لعامل العصبية البغيضة ، وقد ابتلى به كثير من أصحاب النفوس المريضة والقلوب الغافلة ؛ حيث أوجد لدى هؤلاء النفور التام والاستكبار الممقوت عن قبول الحق وتجاوز الخلافات التى تحصل بين الناس .

وهؤلاء ماضون على طريقة أول الحاسدين لبنى آدم وهو إبليس ؛ حيث قال فيما أخبرنا عنه : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا** ﴾[3] وقوله : ﴿ **قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ** ﴾[4] .

وفى القرآن الكريم وسنة النبى (ﷺ) من الأمثلة الكثيرة التى تدل على الضرر الذى لحق بوحدة الأمة من جراء الحسد قديماً وحديثاً .
فما الذى أوقع إبليس فى معصية الله إلا حسده لأبينا آدم ، عليه السلام ؟ !
وما الذى حمل قابيل على قتل هابيل إلا حسده لأخيه ؟!
وما الذى حمل إخوة يوسف على ما فعلوا إلا الحسد ؟!
وما الذى حمل اليهود – عليهم لعائن الله – على جحد نبوة الرسول (ﷺ) ،

(١) العقد الفريد – لابن عبد ربه (١٦٢/٢) ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م – الثالثة .
(٢) أخرجه الإمام أحمد فى "مسنده" (١٦٧/١) ح (١٤٣٠) ، والترمذى فى "سننه" (٦٦٣/٤) ح (٢٥٠٨) .
(٣) سورة الإسراء ، من الآية (٦١) .
(٤) سورة الأعراف ، من الآية (١٢) .

والسعى فى بث الفساد فى هذه الأمة إلا الحسد ؟! قال – سبحانه - : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ (١).

وهو الذى دفع كفار قريش إلى الاستكبار عن دعوة النبى (ﷺ) ؛ ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢).

واليوم ما فرق الأمة شيعاً متناحرة ، وأحزابا متناكرة إلا الحسد ، وما ظهر الخلاف فى الأمة حتى ذهب مجدها ، وضعف أمرها ، ووهن عزمها ، وما تسلط عليها أعداؤها إلا بالحسد ، وما انقسمت الأمة إلى قوميات ، وتفرقت إلى دويلات ، فهم فى عالم السياسة مذاهب شتى ، وفى عالم الاقتصاد والاجتماع والسلوك مشارب شتى ، حتى شغل بعضهم ببعض ، بل نهش بعضهم بعضا ؛ إلا بالحسد والبغضاء ، والحقد والشحناء(٣).

ولذلك حذرنا النبى من الحسد ، فقال : **"لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تجسسوا ، ولا تناجشوا(٤) ، وكونوا عباد الله إخواناً "**(٥) ، لأن الحاسد سيىء النية ، خبيث الطوية ، معاقب فى الدنيا قبل الآخرة ، قال أبو الليث السمر قندى : "يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود : غم لا ينقطع، ومصيبة لا يؤجر عليها ، ومذمة لا يحمد عليها ، وسخط الرب ، وغلق باب

(١) سورة البقرة ، من الآية (١٠٩) .
(٢) سورة الزخرف ، الآيتان (٣١ ، ٣٢) .
(٣) كوكبة الخطب المنيفة (ص / ٣٨٥) .
(٤) النجش : هو أن يمدح السلعة ليروجها ، أو يزيد فى ثمنها ، وهو لا يريد شراءها ؛ ليقع غيره فيها .
(٥) أخرجه البخارى فى "صحيحه" كتاب : الأدب – باب : ما ينهى عن التحاسد والتدابر – ح (٦٠٦٤) .

التوفيق ".

حسـدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالكل أعـداء له وخصـوم
كضرائـر الحسناء قلن لوجهها حسـداً وبغيـاً إنه لدميـم
وترى اللبيب محسداً لم يجترم شتم الرجال وعرضه مشتوم[1]

ومـن المعلـوم أن مـن لـوازم الحسـد ، وآثـار الحقد : سـوء الظـن بـالإخوان ، وتتبع العورات ، والنفخ فـى الصـفات ، ونشـر السـقطات ، وتلمس العورات ، وإن الحاسـدين ليجـدون فـى الغيبـة ، ونهـش الأعـراض ، والنميمـة : متنفسـاً لأحقـادهم المدفونة ، وخباياتهم المكنونة ؛ فلا يستريحون إلا إذا نشروا المعايب ، ولا يتلذذون إلا بإذاعة الأخطاء والمثالب .

ويشتد قبح الحسد حين يكو ن بين المنتسبين إلى العلم والمعروفين بـالخير والـدعوة والإصـلاح ، وإنـه ليكثـر بـين الأمثـال والنظـراء ، والقرنـاء والـزملاء ، وكذلك فى صفوف النساء ، والمتطلعين إلـى المراتـب والمناصـب ، فقد يوجد مـن بـين الأقـران مـن يبـر إخوانـه ويفـوق زمـلاءه ، فتتحـرك سـهام الحسـد ، وترمـى شرارات الكيد والحقد، فتقضى على الأخوة، وتورث الأحقاد والضغينة والقطيعة، وإنك لتجد فـى المجتمـع مـن ذلـك شـيئاً كثيـراً، فمـا أكثـر المتحاسـدين ، ومـا أكثـر المتقاطعين والمتشاحنين ، هداهم الله ! وليس حسد أعداء الإسلام على المسلمين بغريب ، ولكن الغرابة كل الغرابة أن يسرى التحاسد بين أهل الإسلام[2] .

أما عن علاج الحسد ، فيتمثل فى :

١. التقوى والصبر .
٢. عدم البغض .
٣. العلم بأن الحسد ضرر على الحاسد فى الدنيا والآخرة .

---

(١) خزانة الأدب للبغدادى (٥٦٨/٨) ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٩٩٨م – ت/ محمد نبيل طريفى وإميل اليعقوب ، والأبيات لأبى الأسود الدؤلى .
(٢) كوكبة الخطب المنيفة (ص/٣٩٠) .

٤. الثناء على المحسود وبره .
٥. قمع أسباب الحسد من كبر وعزة نفس .
٦. الإخلاص .
٧. قراءة القرآن .
٨. تذكر الحساب والعقاب .
٩. الرضا بقضاء الله وقدره .
١٠. تذكر قول النبى (ﷺ) : **" لا يجتمع فى جوف عبد غبار فى سبيل الله وفيح جهنم ، ولا يجتمع فى جوف عبد الإيمان والحسد "**[١] .

فلنتق الله – ﷻ – ولننبذ من قلوبنا ترسبات الغل والحسد ، ولنصطلح ونتواد ونتصافى ، ونتسامح ، ولنكن عباد الله إخواناً ، وليكن شعارنا ما قاله السلف الأخيار من المهاجرين والأنصار : ﴿ **وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ** ﴾[٢] .

(١) أخرجه ابن حبان فى "صحيحه" (٤٦٦/١٠) ح (٤٦٠٦) والنسائى فى "السنن الكبرى" (٩/٣) ح (٤٣١٦) .
(٢) سورة الحشر ، الآية (١٠) .

المبحث الرابع عشر

من أسباب الفرقة : قطع الأرحام

إن من مبادىء الإسلام الاجتماعية الأولى تشبيك جماعات المسلمين فى وحدة جسدية جماعية عامة . وأولى الناس بذلك الأقربون رحماً ، فلهم حق أخوة الإسلام ، ولهم حق قرابة الرحم .

وفى الآونة الأخيرة أصبح من الظواهر المحزنة قطع كثير من الناس أرحامهم وقراباتهم سواء أكانوا من أقاربهم من جهة آبائهم ، أم من جهة أمهاتهم ، وتضج المجتمعات بالشكوى من أقرباء لم يدخلوا بيوت أقربائهم من سنين ، أو لم يحسنوا إليهم مع حاجتهم إليهم .

إن قطيعة الأرحام تكون بهجرهم ، والإعراض عن الزيارة المستطاعة ، وعدم مشاركتهم فى مسراتهم ، وعدم مواساتهم فى أحزانهم ، كما تكون بتفضيل غيرهم عليهم فى الصلات والعطاءات الخاصة ، التى هم أحق بها من غيرهم .

ولذلك شدد الإسلام النكير على قاطعى الرحم ، فقال – سبحانه - : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1] ، وقال – عَزَّ وَجَلَّ - ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾[2] .

وجاءت الأحاديث المتضافرة التى تلفت الأنظار بشدة إلى أهمية صلة الأرحام ، فعن عائشة – رضى الله عنها – عن النبى (ﷺ) قال : **" الرحم متعلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله "**[3].

---

(١) سورة النساء ، من الآية (١) .

(٢) سورة محمد ، الآيتان (٢٢ ، ٢٣) .

(٣) أخرجه مسلم فى "صحيحه" كتاب : البر والصلة والآداب – باب : صلة الرحم وتحريم قطيعتها – ح (٢٥٥٥) .

وأكد النبى (ﷺ) على معنى صلة الرحم ، فليس معنى صلة الرحم أن يصل الإنسان من يصلونه ، بل أن يصل الإنسان الأرحام المقطوعة ، فقال (ﷺ) : **" ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها"**(١).

عقوبة قاطع الرحم :

قاطع الرحم له عقوبة فى الدنيا والآخرة .

أولاً : عقوبة قاطع الرحم فى الدنيا :

١. لا يقبل عمل قاطع رحم ، قال (ﷺ) : " إن أعمال بنى آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم "(٢) .
٢. قاطع الرحم يعجل عقابه فى الدنيا ؛ فقطع الأرحام من أعظم كبار الذنوب، وعقوبته معجلة فى الدنيا قبل الآخرة، قال رسول الله (ﷺ): **"ما من ذنب أجدر أن يعجل الله** – تعالى – **لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم "**(٣).
٣. يرى وباله قبل أن يموت ، قال (ﷺ) : **" من قطع رحماً أو حلف على يمين فاجرة رأى وباله قبل أن يموت "** (٤).
٤. قطيعة الرحم سبب للعنة الله وعقابه ؛ لقول الله – تعالى - ﴿ **فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ**

(١) أخرجه البخارى فى "صحيحه" كتاب : الأدب – باب : ليس الواصل بالمكافىء – ح (٥٩٩١) .
(٢) أخرجه البيهقى فى "شعب الإيمان" (٢٢٤/٦) ح (٧٩٦٥) ، والبخارى فى "الأدب المفرد" (٣٥/١) ط : دار البشائر الإسلامية – بيروت – الثالثة – ت/ محمد فؤاد عبد الباقى ، وهو حديث حسن ، رجاله ثقات كما ذكر الألبانى فى "الترغيب والترهيب للمنذرى".
(٣) أخرجه ابن حبان فى "صحيحه" (٢٠٠/٢) ح (٤٥٥) ، وابن ماجة فى "سننه" (١٤٠٨/٢)، وصححه الألبانى بمجموع طرقه فى الصحيحة (٩٠٧/٢).
(٤) ينظر : كنز العمال للمتقى الهندى (١٥٠/٣) ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م – ت/ محمود الدمياطى ، فيض القدير للمناوى (٢٠٦/٦) ، وصححه الألبانى بمجموع طرقه فى الصحيحة (١١٢١).

﴿ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾[1]، وقال على بن الحسين لولده : (يا بنى لا تصحبن قاطع الرحم فإنى وجدته ملعوناً فى كتاب الله فى ثلاث مواطن)[2] .

٥. قطعها قطع الوصل مع الله ، فعن عائشة – رضى الله عنها – قالت ، قال رسول الله (ﷺ) : **"الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله "**[3].

٦. قاطع الرحم يأتى بأبغض الأعمال إلى الله ؛ فقد سئل رسول الله (ﷺ) أى الأعمال أبغض إلى الله ؟ قال : **" الإشراك بالله ، قيل يا رسول الله ثم مه ؟ قال : قطيعة الرحم "**[4].

ثانياً : عقوبة قاطع الرحم فى الآخرة :

١. الرحم على طرف الصراط تنتظره ؛ قال (ﷺ) : **" يجمع الله الناس يوم القيامة .... ، وفيه : ويرسل معه الأمانة والرحم فيقفان بالصراط يمينه وشماله فيمر أولكم كمر البرق ..."** [5] ، فقاطع الرحم كيف يمر أصلاً على الصراط والرسول (ﷺ) قال : **" يجىء الرحم يوم القيامة له حجنة كحجنة المغزل فيتكلم بلسان طلق ذلق فيصل من وصلها**

---

(١) سورة محمد ، الآية (٢٢ ، ٢٣) .

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزى (١٠١/٢) ط : دار المعرفة – بيروت – الثانية – ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م – ت/ محمود فاخورى ومحمد رواس .

(٣) سبق تخريجه ، وقد صححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٥٤٩) .

(٤) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية – لابن حجر العسقلانى (٢٦٥/١١) ط : دار العاصمة – السعودية – الأولى – ١٤١٩ هـ - ت/د : سعد الشترى ، ورواه أبو يعلى بسند جيد ، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٥٢٢) .

(٥) أخرجه الحاكم فى "المستدرك" (٦٣١/٤) ح (٨٧٤٩) عن حذيفة بن اليمان وأبى هريره ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ويقطع من قطعها "[1] ، فالرحم تنتظره على الصراط وتشهد له بالصلة أو تشهد عليه بالقطيعة ، فلها لسان طلق زلق ، وتشير إلى الواصل بالوصل وإلى القاطع بالقطع .

وعن عبد الله بن عمرو قال : " عطف لنا النبى (ﷺ) إصبعه فقال : **"الرحم شجنة من الرحمن من يصلها يصله ، ومن يقطعها يقطعه ، لها لسان ذلق يوم القيامة "**[2].

٢. ينتظره ثعبان ليطوقه يوم القيامة لبخله على أقربائه ، قال (ﷺ) : **"ما من ذى رحم يأتى رحمه فيسأله فضلاً أعطاه الله إياه فيبخل عليه إلا أخرج الله له يوم القيامة من جهنم حية يقال لها : شجاع يتلمظ فيطوق به "**[3].

٣. يمنعه الله فضله يوم القيامة ؛ قال (ﷺ) : **"أيما رجل أتاه ابن عمه يسأله من فضله ، فمنعه ، منعه الله فضله يوم القيامة "**[4].

٤. يحرم من دخول الجنة ؛ قال (ﷺ) : **"لا يدخل الجنة قاطع يعنى قاطع رحم"**[5].

---

(١) أخرجه الحاكم فى "المستدرك" (١٧٩/٤) ح (٧٢٨٨) ، وابن أبى شيبة فى "المصنف" (٢١٧/٥) ، والحجنة : كل معوج ، أى : له صنارة كصنارة المغزل .

(٢) أخرجه البخارى فى "صحيحه" كتاب : الأدب – باب : من وصل وصله الله – ح (٥٩٨٨)، والحاكم فى "المستدرك" (٣٣٠/٢) ح (٣١٧٩) ، ومعنى الرحم شجنة أى : قرابة مشتبكة كاشتباك العروق .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى "مسنده" (٣/٥) ، والنسائى فى "السنن الكبرى" (٤٣/٢) ، والطبرانى فى "المعجم الكبير" (٣٢٢/٢) .

(٤) أخرجه الطبرانى فى "المعجم الأوسط (٤٥/٢) ، والهيثمى فى "مجمع الزوائد" (١٢٥/٤)، والحديث فى سنده ضعف فى محمد بن الحسن القردوسى ، فقد ضعفه الأزدى .

(٥) متفق عليه ، أخرجه البخارى فى "صحيحه" كتاب : الأدب – باب : إثم القاطع – ح (٥٩٨٤) ، ومسلم فى "صحيحه" كتاب : البر والصلة – باب : صلة الرحم وتحريم قطيعتها – ح (٢٥٥٦) .

وقال (ﷺ) : **" ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر "**(١).

ويكفى أن نعلم أن صلة الرحم من أسباب البركة فى العمر والزيادة فى الرزق ، قال (ﷺ) : **" من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وأن ينسأ له فى أثره ؛ فليصل رحمه "**(٢).

وقال (ﷺ) : **" من سره أن يمد الله فى عمره ، ويوسع له رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه "**(٣).

أسباب قطيعة الرحم :

أما عن أسباب قطع الرحم فهى كثيرة : منها على سبيل المثال لا الحصر :

١- **الجهل :** فالجهل بعواقب القطيعة العاجلة والآجلة يحمل عليها ، ويقود إليها ، كما أن الجهل بفضائل الصلة العاجلة والآجلة يقصر عنها ، ولا يبعث إليها .

٢- **ضعف التقوى :** فإذا ضعفت التقوى ، ورقّ الدين لم يبال المرء بقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ولم يطمع بأجر الصلة ، ولم يخش عاقبة القطيعة .

٣- **الكبر :** فبعض الناس إذا نال منصبا رفيعاً ، أو حاز مكانة عالية ؛ تكبر على أقاربه ، وأنف من زيارتهم ؛ بحيث يرى أنه صاحب الحق وأنه أولى بأن يزار ويؤتى إليه .

٤- **الشح والبخل :** فمن الناس من إذا رزقه الله مالاً أو جاهاً تجده يتهرب من أقاربه ، خوفاً من الاستدانة منه ، أو يكثرون الطلبات عليه ، وقد حذرنا النبى

---

(١) أخرجه ابن حبان فى "صحيحه" (١٦٦/١٢) ح (٥٣٤٦) ، والحاكم فى "المستدرك" (١٦٣/٤) ح (٧٢٣٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخارى فى "صحيحه" كتاب : الأدب – باب : من بسط له فى الرزق بصلة الرحم ح (٥٩٨٥) ، ومسلم فى "صحيحه" كتاب : البر والصلة – باب : صلة الرحم وتحريم قطيعتها – ح (٢٥٥٧) .

(٣) أخرجه الحاكم فى "المستدرك" (١٧٧/٤) ح (٧٢٨٠) ، والطبرانى فى "المعجم الأوسط" (٢٣٤/٣) ، وقد ضعفه الألبانى فى " السلسلة الضعيفة " (٦١٩/١١) .

(ﷺ) من ذلك ، كما مر فى العقوبات التى تلحق قاطع الرحم ، فما فائدة المال أو الجاه إذا حرم منه الأقارب ؟ وما أجمل قولهم :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم[1]

٥- **تأخير قسمة الميراث** .

٦- **الشراكة بين الأقارب** ؛ إذا لم تقم على الأمانة والحفاظ على أواصر المحبة والقربى وإلا ففيها خير وبركة إذا روعى فيها الأمانة والوضوح والصراحة .

٧- **الحسد** : وقد مر خطره وضرره .

٨- **الوشاية والإصغاء إليها** ؛ فمن الناس من يسعى بين الأحبة لتفريق صفهم ، قال الأعشى :

ومن يطع الواشين لا يتركوا له صديقا وإن كان الحبيب المقربا[2]

٩- **سوء الخلق** .

علاج قطيعة الرحم :

ما أجدر العاقل أن يحذر قطيعة الرحم ، وأن يتجنب الأسباب الداعية إليها، وما أحرى به أن يصل الرحم ، ويتحرى أسباب وصلها ، ويرعى الآداب التى ينبغى مراعاتها مع الأقارب ، ويكون علاج القطيعة بالآتى :

١- التفكر فى الآثار المترتبة على الصلة ؛ بأن يعرف ثمارها وحسن عواقبها ، والسعى إليها .

٢- النظر فى عواقب القطيعة ؛ بتأمل ما تجلبه القطيعة من حسرة وهم وغم ، وغير ذلك .

٣- الاستعانة بالله ؛ بسؤاله التوفيق والإعانة على صلة الرحم .

٤- مقابلة الإساءة بالإحسان ، كما أرشد النبى (ﷺ) أحد من سأله فقال : يا

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى ، ينظر : خزانة الأدب (٢٥١/١) ، وديوان زهير بن أبى سلمى (٢٦/١) ط : دار المعرفة – بيروت – الثانية : ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م – ت حمدو طماس .

(٢) ديوان الأعشى (١٦٧/١) ط: مكتبة الآداب - الإسكندرية - ١٩٥٠م – ت/ د: محمد حسين.

رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعوننى وأحسن إليهم ويسيئون إلى وأحلم عنهم ويجهلون على ، فقال : **" لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك "**[1].

٥- قبول أعذارهم إذا أخطأوا ، واعتذروا .

٦- التواضع ولين الجانب .

٧- التغاضى والتغافل : وهما من أخلاق الأكابر والعظماء ، ومما يعين على استبقاء المودة واستجلابها .

٨- ترك المنة عليهم والبعد عن مطالبتهم بالمثل ، كما سبق فليس الواصل بالمكافىء .

٩- توطين النفوس على الرضا بالقليل من الأقارب .

١٠- مراعاة أحوالهم ، وإنزالهم منازلهم .

١١- تجنب الشدة فى العقاب .

١٢- تجنب الخصام وكثرة الملاحاة والجدال العقيم مع الأقارب .

١٣- المبادرة بالهدية .

١٤- الحرص على إصلاح ذات البين .

١٥- الاجتماعات الدورية ، قدر المستطاع .

١٦- الشورى بين الأقارب .

١٧- الدعاء لهم بظهر الغيب .

وأخيراً : يراعى فى ذلك كله أن تكون الصلة قربة يتقرب بها العبد إلى الله – ﷻ - ، وأن تكون تعاوناً على البر والتقوى ، لا يقصد بها حمية الجاهلية[2] .

نسأل الله – تعالى – بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى أن يجعلنا ممن يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، وأن يعيذنا من قطيعة الأرحام ، ونسأله – سبحانه – أن يجعل هذه الصفحات معينة على البر والصلة ، وأن يجنبنا الفرقة ، إنه سميع قريب.

---

(١) أخرجه مسلم فى "صحيحه" كتاب : البر والصلة – باب : صلة الرحم وتحريم قطيعتها – ح (٢٥٥٨) ، وابن حبان فى "صحيحه" (١٩٥/٢) ح (٤٥٠) .

(٢) قطيعة الرحم – المظاهر – الأسباب – سبل العلاج – مقال من موقع مفكرة الإسلام .

المبحث الخامس عشر

من أسباب الفرقة : وجود علماء انحرفت عقائدهم

من البلايا وأعظم الرزايا أن تصاب الأمة الإسلامية فى قلبها وصمام أمانها، وذلك بموت علمائها الأخيار ، أو تكميم أفواه المخلصين الأبرار ، وابتلاء الأمة بمن لا تبرأ بهم الذمة ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، ويتنصلون من قول الحق ، ويفتون بغير علم ، ويسكتون على الباطل – إلا من رحم الله - ، ونعوذ بالله أن يكون قد أدركنا الزمان الذى ذكر فيه الرسول (ﷺ) قبض العلماء، فقد روى البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : **"إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا "** [(١)].

قال ابن حجر – رحمه الله - : " وفى هذا الحديث : الحث على حفظ العلم، والتحذير من ترئيس الجهلة، وفيه : أن الفتوى هى الرياسة الحقيقية ، وذم من يقدم عليها بغير علم، واستدل به الجمهور على القول بخلو الزمان عن مجتهد"[(٢)] أ هـ.

وقال ابن عباس – رضي الله عنه – فى تفسيره لقوله – تعالى - : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا** ﴾ أى : خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها[(٣)] .

وكذا قال مجاهد – أيضاً - : هو موت العلماء[(٤)] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخارى فى "صحيحه" كتاب : العلم – باب : كيف يقبض العلم – ح (١٠٠) ، ومسلم فى "صحيحه" كتاب : العلم – باب : رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن – ح (٢٦٧٣) .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ، للإمام ابن حجر العسقلانى (١٩٥/١) ط : دار المعرفة – بيروت – ت/ محب الدين الخطيب .

(٣) تفسير ابن كثير (٥٢١/٢) ط : دار الفكر – بيروت – ١٤٠١ هـ .

(٤) المصدر السابق (٥٢١/٢) .

وقال أحمد بن غزال منشداً :

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها متى يمت عالم منها يمت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبى عاد فى أكنافها التلف[1]

والأحاديث الواردة فى بيان قبض العلم وظهور الجهل فى آخر الزمان كثيرة، وفتنة هؤلاء من أعظم الفتن حيث أضلوا الناس بغير علم ولا هدى ، ومن حيث كان أتباعهم يتوقعون منهم معرفة الحق والوصول إليه ، فصار هؤلاء العلماء يحرمون ما يشاءون ، ويحللون ما يشاءون ، ويفتون بما يريدون ، ثم جعلوا أتباعهم وراء ستار كثيف من الجهل والنفور عن الآخرين ؛ لئلا يكتشف جهلهم ، وقد حذرنا (ﷺ) سوء فعل هؤلاء ؛ حيث قال : **"وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين "**[2].

وفى رواية أخرى – قال (ﷺ) : **" ما أخاف على أمتى منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن "**[3] .

ومن أجل الفائدة أذكر هنا صفات علماء السوء ؛ من أجل تذكير الناس ، وتنبيه الغافل ، وتبيين الحق لمن ينشده ، وهى صفات كثيرة ؛ من أهمها :

١- الحكم بغير ما أنزل الله : ويتمثل ذلك فى الجهل بالأحكام الشرعية ، أو الحكم بموجب الهوى ، أو الجور فيما يصدر من أحكام ظلماً وعدواناً .

قال ابن القيم – رحمه الله - : " وقد حرم الله – سبحانه – القول عليه بغير علم فى الفتيا والقضاء ، وجعله من أعظم المحرمات ، بل جعله فى المرتبة العليا منها ، فقال – تعالى - : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن**

(١) المصدر السابق (٥٢١/٢) .

(٢) أخرجه ابن حبان فى "صحيحه" (٤٣١/١٠) ح (٤٥٧٠) ، والحاكم فى "المستدرك" (٤٩٦/٤) ح (٨٣٩٠) ، وهو حديث صحيح له عدة طرق وإسناده جيد ورجاله ثقات كما ذكر أهل العلم .

(٣) أخرجه أحمد فى "مسنده" (٢٢/١) ح (١٤٣) ، والطبرانى فى "المعجم الكبير (٢٣٧/١٨).

﴿ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[1] ، فرتب المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهو الفواحش ، ثم ثنى بما هو أشد تحريماً منه وهو الإثم والظلم ، ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً منهما وهو الشرك به – سبحانه - ، ثم ربع بما هو أشد من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم ، وهذا يعم القول عليه – سبحانه – بلا علم فى أسمائه وصفاته وأفعاله ، وفى دينه وشرعه ، وقال – تعالى – ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧ ﴾[2] ، فتقدم إليهم – سبحانه – بالوعيد على الكذب عليه فى أحكامه ، وقولهم لما يحرمه هذا حلال ، ولما يحلله هذا حرام، وهذا بيان منه – سبحانه – أنه لا يجوز للعبد أن يقول : هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله – سبحانه – أحله وحرمه ، وقال بعض السلف : ليتق أحدكم أن يقول : أحل الله كذا وحرم كذا فيقول الله له : كذبت لم أحل كذا ولم أحرم كذا "[3] أ هـ .

٢- الفتوى حسب ما يمليه الهوى وما تشتهيه أهواؤهم ؛ وهذا قد كثر فى زماننا هذا ، فنجد من يفتى الناس لمصالح شخصية ، أو يفتى بما لم يعلم ولم يسمع وقد ثبت عن النبى (ﷺ) أنه قال : **" من أفتى بفتيا بغير تثبت فإنما إثمه على من أفتاه "**[4].

وقد كان سلفنا الصالح – رضوان الله عليهم – يخشون الفتيا تورعاً وخشية أن يقول أحدهم بما لا يعلم – مع أنهم أعلم الناس بعد رسول الله بكتاب الله وسنة

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (٣٣) .

(٢) سورة النحل ، الآيتان (١١٦ ، ١١٧) .

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم (٣٨/١) ط : دار الجيل – بيروت – ١٩٧٣م – ت/ طه عبد الرؤوف سعد .

(٤) أخرجه الدارمى فى "سننه" (٦٩/١) ح (١٥٩) ، وابن ماجة فى "سننه" (٢٠/١) ح (٥٣)، وهو حديث ضعيف لأن فى إسناده خطأ لأن متابعة حميد بن هانئ لعمرو بن أبى نعيمة لا تصح.

نبيه – قال ابن مسعود – رضي الله عنه - : " من كان عنده علم فليقل بـه ومـن لـم يكـن عنده علم فليقل : الله أعلم ، فإن الله قال لنبيه : **(قل مـا أسـألكم عليـه مـن أجـر وما أنا من المتكلفين)** [(١)] .

وقال سحنون بن سعيد : " أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً ، يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم يظن أن الحق كله فيه "[(٢)].

وذكر عن ابن عمر أنه كان إذا سئل قال : " اذهب إلى هذا الأمير الذى تولى أمر الناس فضعها فى عنقه ، وقال : يريدون أن يجعلونا جسراً يمرون علينا إلى جهنم "[(٣)].

٣- يرون عدم أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ فينتج عن ذلك التشنيع بالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، والأدلة فى هذا الباب كثيرة .

٤- العجب بالنفس ؛ فيستخفون بمن دونهم ، ويعظم فى عينه من هو أعلى منه جاهاً ومنزلة ولو كان من غير أهل الصلاح ، وقد مر ذم ذلك .

٥- الإحجام عن قول كلمة الحق فيما لا يجوز السكوت عليه : فتراهم يداهنون بفتواهم ، ويجاملون فى معاملاتهم ولو على حسب العقيدة الصحيحة ؛ كقاعدة الولاء والبراء ، أو التحاكم إلى القوانين الوضعية ، أو الطواف بالقبور، وغير ذلك .

وما تقدم ذكره من صفات إنما هى ناشئة عن فساد من يوصفون بتلك الأوصاف ممن ينتسبون إلى العلم – وهذا زيغ وضلال - ، ولو تأملت أحوالهم لرأيت أنهم قد تلبسوا بالفسق وركوب المعاصى ، فهل يليق بمثل هؤلاء أن تسمع

---

(١) ذكره الطيالسى فى "مسنده" (٣٨/١) ط : دار المعرفة – بيروت .

(٢) أدب المفتى والمستفتى لـ : أبى عمرو الشهروزى (٧٨/١) ط : مكتبة العلوم والحكم وعالم الكتب – بيروت – الأولى – ت/ د : موفق عبد القادر ، وإعلام الموقعين (٣٤/١) .

(٣) فيض القدير للمناوى (١٥٩/١) ، وقوت القلوب فى معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد – لـ : مكى بن أبى طالب (٢٢٨/١) ط : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الثانية – ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م – ت/ د : عاصم الكيالى .

منهم فتوى ، أو يطلب منهم أن يتحدثوا للناس عما يهمهم فى دينهم ، فعلى من أراد الفتوى أن يتنزه عن سؤالهم ، ويتصل بخيار العلماء الذين يفعلون ما يقولون، ويتورعون عن قول ما لا يعلمون ؛ الذين ورثوا العلم والعمل عن سيد المرسلين(١).

أسأل الله – تعالى – الذى لا يخيب من سأله ، ولا يرد من أمله ؛ أن يرزق هذه الأمة علماء ربانيين ، يهدون بهدى الكتاب والسنة ، ويعيدون الحق إلى نصابه، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

(١) من هم علماء السوء – حمد بن ريس الريس – موقع : منبر التوحيد والجهاد .

الفصل الثاني

الفصل الثانى
الأسباب الخارجية لفرقة الأمة

هناك أسباب خارجية أدت إلى فرقة الأمة فى العصر الحديث والقديم ، وتمتد الأسباب إلى بداية ظهور الإسلام ، ويرجع قدر كبير من هذه الأسباب إلى الفترة التى هيمن عليها الاستعمار على بلاد العالم الإسلامى ، وعندما رحل ترك مشكلات عديدة كان هو سبباً فيها ، فلطالما كانوا يعملون ويخططون لسياستهم وهى مبدأ " فرق تسد " . ومن هنا عمل على إحياء العصبيات العرقية بين شعوب البلاد المستعمرة ، وقام بنهب خيرات هذه البلاد ، وأدى ذلك إلى إفقارها وتخلفها الحضارى الذى لا تزال آثاره باقية حتى اليوم ، ولنتحدث عن ذلك بشىء من التفصيل فى المباحث التالية .

المبحث الأول

مكائد الكفار للمسلمين

إن أعداء هذا الدين منذ أن بعث الله محمداً (ﷺ) وهم يكيدون له ، ويحاولون القضاء عليه ، لذلك حذرنا ربنا – ﷻ – من مكائد أعداء الإسلام ، فقال – تعالى - ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[1] ، وقال – تعالى - : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾[2] ، وقال – ﴿ - ﷻ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ﴾[3] .

ولو تتبعنا المحاولات التى كانوا يكيدون بها للإسلام من البداية ؛ لوجدنا أنهم فى البداية حاولوا صد الناس عن اتباع الرسول (ﷺ) ، ووصفوه بأشنع الأوصاف، بل وحاولوا قتله – عليه الصلاة والسلام _ ، وقاتلوه وقتلوا بعض أتباعه؛ فلم يفلحوا ، ثم لجأوا بعد ذلك إلى طريقة خبيثة ماكرة ؛ وهى الدخول فى الإسلام فى الظاهر ، والكيد له فى الباطن ؛ قال – تعالى - ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[4] ، فسرعان ما فضح الله كيدهم ، وحذر المسلمين من شرهم ، وكشف نواياهم وخططهم ، وبعد وفاة النبى (ﷺ) تألب اليهود والمجوس على المسلمين ، فأظهر ناس منهم الإسلام خدعة ، واندسوا بين المسلمين لبث الفتنة والإفساد ، واغتالوا الخلفاء ، وأثاروا الحروب بين المسلمين ، وسرعان ما أبطل الله كيدهم – أيضاً - ، واجتمعت كلمة المسلمين ، واستردت الدولة الإسلامية سيطرتها على مشارق الأرض ومغاربها فى عهد الدولة الأموية والعباسية ، فتحول هؤلاء المنافقون من اليهود والمجوس إلى منظمات سرية ، وظهر بعد ذلك

---

(١) سورة البقرة ، من الآية (١٢٠) .
(٢) سورة النساء ، من الآية (٨٩) .
(٣) سورة البقرة ، من الآية (٢١٧) .
(٤) سورة آل عمران ، آية (٧٢) .

القرامطة والباطنية والإسماعيلية ، ودسوا فى المسلمين نحلاً جديدة[١] .

وفى أيامنا هذه تشتد هجمة الأعداء ، ويتجدد مكرهم ، وتتوحد قواهم لضرب المسلمين وحصارهم ، فهم يتعاونون فيما بينهم ضد الإسلام والمسلمين ، والمعركة التى يقودها الباطل والمبطلون ضد الحق يتجمع فيها أصناف الشياطين، ويتعاونون لإمضاء خطة مدبرة ، فبعضهم يوحى إلى بعض ، وبعضهم يغوى بعضاً ، ونحن فى هذه الأيام أمام هجمات شرسة ، بكل المقاييس ، وفى ظل أزمة لا يعلم مداها إلا الله ، فمؤشرات الفتن تملأ الآفاق ، والمصيبة أن المسلمين فى غفلة عن هذا ، فى الوقت الذى يتحرك فيه الأعداء ، ويدبرون ويخططون ، فالبوارج الكبرى تموج فى البحار محملة بالأسلحة ، وأساطيل الجو تتحرك من مغرب الأرض إلى مشرقها ، والمناورات العسكرية على أشدها ، ولو نظرنا إلى ما حدث فى العراق لأيقنت صدق ما نقول ؛ أيستحق العراق كل هذه الحشود ؟ وما هى الخطوة بعد العراق وما تبعها من البلدان الإسلامية ؟ وهل يسوغ أن يظل المسلمون يشاهدون والعدو يحتل بلادهم ، ويقتل أبناءهم ، ويسيطر على مقدراتهم ؟ تلك أسئلة كثيرة ، فمن يجيب عنها بصدق ؟

لقد تفرق المسلمون فيما بينهم ، وتفرقت كلمتهم – وهم الأمة الواحدة - ، وأصبحوا هدفاً للغزو بعد أن كانوا قادة الفتح ، والإسلام لا خوف عليه ولكن الخوف كله على المسلمين ؛ فالله – تعالى – يقول : ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم** ﴾[٢] ، فهل توقظ هذه الفتن ضمائر المسلمين فيحاسبوا أنفسهم ، ويعودوا إلى بارئهم ، ويبادروا بالأعمال الصالحة ، كما أوصاهم حبيبهم (ﷺ) بقوله : **" بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم "**[٣] ؟

وهل تدعوهم هذه الأزمات وتجمع الأعداء إلى نبذ الفرقة ، واجتماع الكلمة وتوحيد الهدف ؟

---

(١) اقتباس من خطبة للشيخ/ ناصر بن محمد الأحمد – بعنوان : بعض طرق كيد الكفار .

(٢) سورة محمد ، من الآية (٣٨) .

(٣) أخرجه مسلم فى "صحيحه" كتاب : الإيمان – باب : الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن – ح (١١٨) ، وابن حبان فى "صحيحه" (٩٦/١٥) ح (٦٧٠٤) .

نعلم جميعاً أن أعداء الإسلام يريدون العالم كله أن يركع لهم ، وأن يكون تحت قبضتهم وإمرتهم وهيمنتهم ، فهم يريدون من العالم الإسلامى أن يعيش فى ركابهم يستجديهم ويفزع إليهم ، لا يريد منه أن يتسلح أو يصنع أو يعد العدة فى صناعات تقوى المسلمين وتغنيهم عن أعدائهم ، أما غير المسلمين فلهم كل الخيارات فى امتلاك الأسلحة وتصنيعها والتقوى بها .

فمن لم يستطيعون عليه بالإغراءات والحيل والأكاذيب والتخويف والتهديد ؛ قاتلوه وحاربوه ليركع لهم بالقوة ، ووافق ذلك ضعفاً فى المسلمين فى قياداتهم ، ومكراً وخبثاً وتولياً من بعضهم ، وخوفاً واستكانة من الآخرين ، وضعفاً من علمائهم – إلا من رحم الله - ، حتى رضيت الأمة بواقعها ، فدكت أفغانستان ، ووئدت منظمات ومؤسسات تنشر الإسلام وتدعو إليه وتدعم المسلمين فى كل مكان ، وأخرست ألسن كثير من المصلحين فى العالم .

ولكن ... يبقى الأمل فى موعود الله – ﷻ - ، وموعود رسوله (ﷺ) ، فكيد الأعداء ومكرهم مهما بلغ شأنه ، واجتمع له الخصوم من كل صوب فليس طليقاً ، بل هو مقيد بقدر الله ، ومحاط بمشيئته – سبحانه - ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[1] .

وهنا يتعلق المؤمن بالله – ﷻ - ، ويوقن أن القوة لله جميعاً ، وأن الخلق مهما صنعوا لا يشاءون إلا أن يشاء الله ، فيعتصم المؤمن بالله وحده ، ويتوكل عليه لا على غيره، ويخاف منه دون سواه، ويرجوه وحده ، مع الأخذ بأسباب سبل النجاة ، فالماكرون لهم عذاب شديد ، ومكرهم يبور ؛ كما قال – تعالى - : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[2] ، قال أبو العالية : " هم الذين مكروا بالنبى (ﷺ) لما اجتمعوا فى دار الندوة "[3] . وإن

(١) سورة الأنعام ، الآية (١١٢) .
(٢) سورة فاطر ، من الآية (١٠) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبى (٣٣٢/١٤) ط : دار الشعب ، وفتح القدير للإمام الشوكانى (٣٤١/٤) ط : دار الفكر – بيروت .

كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

فنهاية مكرهم فى تباب ، فهذه قريش وتخطط وتدبر المكائد ، وتصنع المؤامرات لإنهاء الرسول (ﷺ) ثم يبطل كيدهم ، ويفشل مخططهم ، ويوحى إلى نبيه (ﷺ) بما تآمروا به ؛ ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[1] .

والمكر السيىء يحيق بأهله ؛ كما قال – تعالى - ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾[2] ، وربك يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ؛ قال – تعالى - : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[3] ، فعاقبة المكر والماكرين ؛ هى الهلاك والتدمير عاجلاً أم آجلاً ، قال – تعالى - : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[4] .

فمن تأمل القرآن وجده يعرض عن أمم مكرت فحلت بها عقوبة الله فى الدنيا، وما ينتظرها فى الآخرة أشد وأخزى ، فلقد مكر من كانوا قبل قريش ، ومكرت قريش ، وما يزال المكر سارياً ، فسنة الله لا تتبدل ، فلقد قال : ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[5] ، فانهدم عليهم البنيان الذى شيدوه ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون .

قد يتعرض المسلمون للأذى ، ويتعرضون لكيد الأعداء ، وما ذلك إلا لحكمة لله – ﷻ - ؛ منها ابتلاء المؤمنين وتمحيصهم ، ومحق الكافرين ، وكشف المنافقين ، وتنقية الصف ، فيمتحن الله – ﷻ – المسلمين للثبات على الإسلام –

(١) سورة الأنفال ، الآية (٣٠) .
(٢) سورة فاطر ، الآية (٤٣) .
(٣) سورة هود ، الآية (١٠٢) .
(٤) سورة النمل ، الآيتان (٥٢ ، ٥٣) .
(٥) سورة النحل ، من الآية (٢٦) .

وإن هوجم - ، وللصبر على الحق – وإن طردوا - ، ولنصرة المسلمين – وإن كانوا قلة مضطهدين - ، ولكن يبقى تحقيق الشرط ... وهو شرط الإيمان ، قال – تعالى - : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] ، ومازال التوكل على الله ، واليقين بنصره سلاحاً يتدرع به المؤمنون ، كلما اشتدت الأزمات، وتكالب الأعداء ، ولكن لابد مع الإيمان من عمل ، ومع اليقين من جهد ، فلو صدق المسلمون لأرهبوا أعداء الإسلام ، ولو اجتمعت كلمتهم لأخافوهم ، ولو دافعوا عن دينهم وحرماتهم لدافع الله عنهم، فالمستقبل لهذا الدين ، والظهور له ، والعلو لدين الله مهما كاد الكافرون ، وخطط المخططون ، ﴿ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[2] ، ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[3] .

والخلاصة : أن مكائد أعداء الإسلام للإسلام والمسلمين حاصل من أول ظهور الإسلام حتى اليوم ، فأعداء الإسلام بمختلف مللهم وعقائدهم وأديانهم كانوا ولا يزالون يكيدون للإسلام وأهله ؛ فكان من مكائدهم إيقاع المسلمين فى كثير مما كانوا عليه من أمور العقائد والعادات والأعياد والسلوك ، ولذلك نجد أن أغلب أسباب الافتراق فى الأمة هى مكائد الكافرين ، وما من فرقة افترقت عن الأمة إلا ونجد أن من أسباب افتراقها وجود طوائف من الكفار ؛ إما أن يكونوا أسهموا فى بثها وترويجها بين أهل الأهواء والبسطاء من المسلمين ، أو كانوا رؤوساً فيها أو من أتباعها ، فهم من أحرص الناس على صرف المسلمين عن دينهم، وهم الآن يبذلون جهوداً أكثر من أى وقت مضى ، وكل مسلم متأمل لواقع المسلمين الآن فى العالم كله يدرك تكالب الكفار على الأمة المسلمة لمحاولة فرض أحوال وأمور الكافرين من عقائد ومن عادات ومن أنظمة ومن سياسات وأخلاق وغيرها[4] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٣٩) .
(٢) سورة غافر ، من الآية (٢٥) .
(٣) سورة آل عمران ، من الآية (١٢٠) .
(٤) رسالة " من تشبه بقوم فهو منهم " د. ناصر العقل (ص/٣٢ وما بعدها) بتصرف .

المبحث الثانى

الاستعمار وأثره على فرقة الأمة

لقد مُنى العالم الإسلامى بموجات من الغزو العاتى ، التى حاولت أن تقضى عليه وتمحو أثره من وجه البسيطة ، وكانت الفرص التى استغلتها تلك الهجمات هى مناسبات تمزق الدولة الإسلامية ، وافتراق كلمتها ، وضعف أجزائها، فجاء غزو التتار فى ظل ضعف وانقسام إسلامى ، فاحتلوا كثيراً من بلدان المسلمين ، وقتلوا كثيراً من العلماء ، وأحرقوا الكتب ، ودارت بينهم وبين بقية المسلمين معارك هائلة ، انتهت بانتصار المسلمين ، ثم جاء بعد ذلك الغزو الصليبى لبلاد المسلمين ، فاحتل كثير اً من بلاد الشام ، واستولى على المسجد الأقصى مدة من الزمن ، وقاتلتهم جيوش المسلمين ، حتى نصرهم الله على يد القائد المسلم صلاح الدين الأيوبى ، الذى خلص المسجد الأقصى من قبضتهم ، ولما ضعف المسلمون فى العصور المتأخرة ؛ غزاهم الاستعمار الكافر ، واستولى على كثير من بلادهم ، وقسمه إلى دويلات ، فقسم الأرض جغرافياً وجعلها أجزاء متفرقة ، وخلق واقعاً جديداً أراد من خلاله فرقة الأمة ، ثم كرس بينهم نزاعات على مناطق جغرافية ، فأبقى بينهم مناطق يتنازعون عليها بحجة السيادة أحياناً أو الأحقية بملكيتها أحياناً أخرى ، فهذه واحة البوريمى بين عمان واليمن والسعودية ، والجرف القارى بين تونس وليبيا ، ولواء الاسكندرونة بين تركية وسوريا ، وإقليم كشمير بين الهند وباكستان ، وغير ذلك .

أراد الاستعمار على مدار أيامه ، وعلى اختلاف أشكاله وألوانه ، وبُعد زمانه أو مكانه أن يجسد بيننا واقع الفرقة بعد أن نجح فى تمزيق الأمة جغرافياً ، وسلاح الفرقة هذا الذى يستخدمه أعداء الإسلام أخطر الأسلحة ، فهو لا يحتاج إلى أسلاك شائكة أو أسوار مرتفعة ، وإنما يهدف إلى إلهاء الشعوب بترهات وتفاهات هنا وهناك ، أو كما هو الحال اليوم من خلال الموالين لهم نركض وراء رغيف

الخبز أو دفعاً نحو ترف زائل لا يدوم ، ولو كان عندهم يقين فى وعد رسول الله (ﷺ) ما همهم ذلك ، فقد قال (ﷺ) : **" ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم"**(١) .

لقد كان من نتائج غياب الوحدة الإسلامية أن تمزقت الأمة الإسلامية ، وطمع فيها الأعداء فى كل مكان ، وقد أدى ذلك إلى : القضاء على الخلافة العباسية ، وقد كانت هذه الهجمة ضربة مؤلمة للحضارة الإسلامية ، وضياع الأندلس وبعض المناطق الإسلامية الأخرى ، فتكالب الأعداء على الدولة الإسلامية فى الأندلس حتى مزقوها إلى دويلات صغيرة متناحرة ، ثم قضوا على تلك الدويلات واحدة تلو الأخرى ، حتى كان آخرها دولة بنى الأحمر التى أخرج آخر ملوكها من الأندلس صاغراً ذليلاً ، وقد تبع ذلك إخراج المسلمين من الأندلس أو إجبارهم على اعتناق النصرانية أو قتلهم بحيث أصبح الإسلام فى الأندلس أثراً بعد عين ، وكان من نتائج غياب الوحدة الإسلامية – أيضاً – وقوع فلسطين تحت الاستعمار البريطانى ثم تسليمها لليهود ، لتكون وطناً قومياً لهم ، كما تمزقت الدولة الإسلامية فى الهند ، واستولى غير المسلمين عليها ، وأصبح المسلمون تحت الحكم غير الإسلامى ، وأوجد ذلك ما يعرف الآن بأكبر أقلية مسلمة فى العالم . هذا بالإضافة إلى ما حصل من وقوع المسلمين تحت سيطرة أعدائهم فى كثير من بقاع العالم فى آسيا بصفة خاصة وإفريقيا وأوربا بصفة عامة ، ومن المعروف أن المسلمين فى الفلبين وبورما والهند وسيرلانكا وآسيا الوسطى وروسيا الاتحادية وبعض دول الكتلة الشيوعية السابقة ، بالإضافة إلى دول البلقان وبعض الدول الأفريقية ؛ ما زالوا يعانون من الاضطهاد والقمع واستلاب الحريات ومصادرة الحقوق الأساسية فى كثير من تلك الدول وغيرها من مواقع الأقليات المسلمة فى العالم .

---

(١) أخرجه البخارى فى "صحيحه" كتاب : الجزية والموادعة – باب : الجزية والموادعة مع أهل الذمة – ح (٣١٥٨) .

ثم نجد مهمة أخرى للاستعمار ؛ وهى مهمة غمسنا فى إعلام هابط فى كل جوانبه ، وهذا لا يخفى على كل لبيب .

ثم هو يسعى جاهداً لعزل الأمة عن تاريخها الناصع الذى أضاء الكون ، ويعزلها عن انتصاراتها العزيزة ، ويحاول ربطها بحاضر فصّله على مقاسه ، وأراد لهم أن يلبسوه ؛ كى ينسوا صنائع من يجب الاقتداء بهم فى كل حياتهم ، وللأسف وجد من ينتدبهم من بين أظهرنا لتنفيذ هذه المخططات كلها ، فنجد استغلالاً لوسائل الإعلام دسوا فيها البرامج الفاسدة المفسدة ، من أفلام خليعة ، وأغان ماجنة ، وصور عارية وكتابات منحرفة تندد بالدين ، وتدعوا إلى التحلل من الأخلاق الفاضلة .

كذلك استغلوا المناهج التعليمية فى بعض البلاد العربية فحولوها – أو حولوا الكثير منها – لخدمة عبادتهم ، وتلقين الشباب المذاهب الهدامة ، وإعطاء صورة مشوهة عن الإسلام .

فاللهم إنا نشكو إليك ضعف قوتنا ، وقلة حيلتنا ، وهواننا على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربنا ، إلى من تكلنا ؟ إلى بعيد يتجهمنا أم إلى عدو ملكته أمرنا ؟ إن لم يكن بك علينا غضب فلا نبالى ، لكن عافيتك أوسع لنا، نعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بنا غضبك ، أو يحل علينا سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

المبحث الثالث

الغزو الفكرى وأثره على فرقة الأمة

الغزو الفكرى هو مصطلح حديث يعنى : مجموعة الجهود التى تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى ، أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة ، وهو أخطر من الغزو العسكرى ؛ لأن الغزو الفكرى ينحو إلى السرية وسلوك المسارب الخفية فى بادىء الأمر ، فلا تحس به الأمة المغزوة ولا تستعد لصده والوقوف فى وجهه ، حتى تقع فريسة له ، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس ؛ تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه ، وتكره ما يريد منها أن تكرهه .

وقد استخدم الغرب وسائل كثيرة لترويج أفكاره ، ومن هذه الوسائل ما يلى :

١- محاولة الاستيلاء على عقول أبناء المسلمين ، وترسيخ المفاهيم الغربية فيها ؛ لتعتقد أن الطريقة الفضلى هى طريقة الغرب فى كل شىء ؛ سواء فيما يعتقده من الأديان والنحل أو ما يتكلم به من اللغات ، أو ما هو عليه من عادات .

٢- رعايته لطائفة كبيرة من أبناء المسلمين فى كل بلد ، وعنايته بهم ، وتربيتهم ، حتى إذا ما تشربوا الأفكار الغربية وعادوا إلى بلادهم أحاطهم بهالة عظيمة من المدح والثناء حتى يتسلموا المناصب والقيادات فى بلدانهم ، وبذلك يروجون الأفكار الغربية ، وينشئون المؤسسات التعليمية المسايرة للمنهج الغربى أو الخاضعة له .

٣- تنشيطه لتعليم اللغات الغربية فى البلدان الإسلامية ، وجعلها تزاحم لغة المسلمين ، وخاصة اللغة العربية ؛ لغة القرآن الكريم التى أنزل الله بها كتابه ، والتى يتعبد بها المسلمون ربهم فى الصلاة وغيرها .

٤- إنشاء الجامعات الغربية والمدارس التبشيرية فى بلاد المسلمين ، ودور الحضانة ورياض الأطفال ، وجعلها أوكارا لأغراضه السيئة ، وتشويق

الدراسة فيها عند الطبقة العالية من أبناء المجتمع ، ومساعدتهم بعد ذلك على تسلم المراكز القيادية والوظائف الكبيرة .

٥- الدعوة إلى إفساد المجتمع المسلم وتزهيد المرأة فى وظيفتها فى الحياة ؛ وذلك بأساليب شتى وطرق متعددة إلى أن تشتغل النساء بأعمال الرجال ، يقصدون من ذلك إفساد المجتمع المسلم والقضاء على الطهر والعفاف الذى يوجد فيه ، وإقامة قضايا وهمية ودعاوى باطلة فى أن المرأة فى المجتمع المسلم قد ظلمت ، وأن لها الحق فى كذا وكذا .

٦- تخصيص إذاعات وقنوات موجهة تدعو إلى أفكارهم ، وتشيد بأهدافها ، وتضلل بأفكارها أبناء المسلمين السذج ؛ الذين لم يفهموا الإسلام ولم تكن لهم تربية كافية عليه .

هذه بعض الوسائل التى يسلكها أعداء الإسلام اليوم فى سبيل غزو أفكار المسلمين ، وتنحية الأفكار السليمة الصالحة لتحل محلها أفكار أخرى غربية ، وهى كما نرى – جهود جبارة وأموال طائلة .

ولكننا مع هذا نقول : إن الله – تعالى – سيخيب آمالهم ، ويبطل كيدهم : إذا صدق المسلمون فى تصديهم لهم ، والحذر من مكائدهم ، واستقاموا على دينهم ؛ لقوله – ﴿ - وَعَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[1] ، لأنهم مفسدون ، وهو - سبحانه – لا يصلح عمل المفسدين ، قال – تعالى - : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾[2] ، وقال – سبحانه - : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾[3] ، ولا شك أن الأمر يحتاج من المسلمين إلى وقفة وتأمل ، والموقف المناسب الذى يجب أن يقفوه ، وأن يكون لهم من الوعى والإدراك ما يجعلهم

(١) سورة آل عمران ، من الآية (١٢٠) .
(٢) سورة الأنفال ، من الآية (٣٠) .
(٣) سورة الطارق ، الآيات (١٥ – ١٧) .

قادرين على فهم مخططات أعدائهم ، وعاملين على إحباطها وإبطالها ، ولن يتم ذلك إلا بالاستعصام بالله ، والتمسك بهديه ، والرجوع إليه ، والإنابة والاستعانة به ، وتذكر هديه فى كل شىء[1] .

والخلاصة – أن أعداء الإسلام يستخدمون الوسائل غير العسكرية – كثيراً – لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية ، وصرف المسلمين عن دينهم ، ويتصف ذلك الغزو الفكرى بالنعومة ، وبراعة العرض ، وشدة الجدل ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، كما يتصف بالشمول ، فهى حرب لا يحصرها ميدان ، وقد تسبق حرب السلاح أو تواكبها وتستمر بعدها لتحقق ما عجز السلاح عن تحقيقه ، ولأن أعداء الإسلام علموا أن الإسلام هو مصدر عزة وقوة الأمة بعد التفرق ويربيها على هوية متميزة ترفض الخضوع لغيرها وتحرص على أن تكون نسيجاً متميزاً يقود ولا يقاد ؛ ولهذا كان الهدف الأسمى لأعداء الدين هو إبعاد المسلمين عن دينهم بكل الوسائل .

يقول جلاد ستون رئيس وزراء بريطانيا الأسبق : " ما دام القرآن فى أيدى المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان " .

ويقول المستشرق جارونز : " إن القوة التى تكمن فى الإسلام هى التى تخيف أوربا " .

ويقول لورنس براون : " إن الإسلام هو الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى " .

ويقول صموئيل زويمر للمبشرين : " إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة تربطه بالأخلاق التى

(١) الغزو الفكرى – مقال فى موقع ويكبيديا الموسوعة الحرة .

تعتمد عليها الأمم فى حياتها "[1] .

إذاً ندرك ونعلم أن أعداء الإسلام قد شنوا حرباً على الأمة ؛ لا هوادة فيها، استخدموا فيها كل صور الأسلحة فى جميع الاتجاهات ، ومن أخطرها الأسلحة الفكرية التى تزرع الفرقة بين أبناء الأمة الواحدة ، وتمهد الطريق للغزو العسكرى، فالغزو الفكرى من أعنف السهام التى وجهت لهذه الأمة فى كل القطاعات فى الإذاعة والتليفزيون والمجلات والجرائد والإنترنت وكذا المناهج التعليمية ، فليس صدفة أن توجه طاقات شبابنا وبناتنا إلى الرسم والرقص والغناء ، ويكون ذلك محور التوجيه فى الصحافة والإذاعة والتليفزيون من حيث لا توجه طاقاتهم ولا عبقرياتهم إلى العلم والصناعة والاختراع ، إنها خطة استعمارية تنفذ من أموال الشعب على أيدى بعض الأغرار من المراهقين والمراهقات من أمتنا[2].

لكن مع هذا كله حسبنا أن نبينا (ﷺ) وصف لنا الدواء بقوله : **" حتى ترجعوا إلى دينكم "**[3] ، فلابد من مراجعة الدين والعقيدة والسلوك وكل ما يقربنا إلى الله ، ويعمر البلاد ويصلح العباد .

أسأل الله – تعالى – أن يردنا إلى دينه مرداً جميلاً ، وأن ينفعنا بما علمنا ،

وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) الاستشراق وأثره على الأمة – أسامة سليمان – شبكة النور .

(٢) هكذا علمتنى الحياة ، د/ مصطفى السباعى .

(٣) من حديث ابن عمر : "إذا تبايعتم بالعينة .... " أخرجه أبو داود فى "سننه" (٢٧٤/٣) ح (٣٤٦٢) ، والبيهقى فى "السنن الكبرى" (٣١٦/٥) .

الخاتمـــــة

تم بفضل الله وتوفيقه ، ما أردت الحديث عنه فى هذا البحث ؛ عن موضوع " فرقة الأمة " والأسباب التى أدت إلى ذلك ، مع الحديث فى كثير من المواطن عن العلاج والدواء .

وقد أشرت فى بداية هذا البحث إلى ما يعانيه المسلمون فى هذا الزمان من التفرق والتمزق واختلاف الكلمة ، وما أدى إليه هذا المرض الخطير من ويلات الدمار والضعف لأمة الإسلام ؛ حتى أصبحت قصعة مستباحة لأرذل أمم الأرض.

وقد تتبعت أسباب فرقة الأمة فوجدتها ضاربة فى أعماق الإسلام وتاريخه ؛ منذ بزوغ فجره وإلى يومنا هذا .

ورأيت أن من أهم أسباب فرقة الأمة هو عدم تحكيم شريعة الله فى أرضه ، وتحكيم الرأى وهوى النفس ؛ ولو كان مخالفاً للشرع ، أيضاً : الجهل بحقيقة الدين ومبادئه السامية ، والعصبية البغيضة التى نهى عنها إسلامنا الحنيف ، وغير ذلك من الأسباب فى ثنايا هذا البحث .

رأيت – أيضاً – أن من أهم أسباب الفرقة أن هناك من يريد إسدال الستار على عقول أبناء هذه الأمة ؛ ليتمكنوا من التسلل فى ليل حالك ؛ لترتفع ألسنة لهيب المفتونين لحماية هذا العفن ، والدفاع عنه ، والدعوة إليه بدعاوى مزركشة، وأقوال مزخرفة ، ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها العذاب ، فكان لابد من كشف ستورها ، وإخراج مغمورها ، وإماطة اللثام، والعمل على إشعاع النور فى الظلام ، تنويراً للخلائق ، وإيضاحاً للحقائق؛ ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1] .

ورأينا أن أعداء الأمة أغاروا على كثير من بلادها ؛ فنهبوا خيراتها ، وعبثوا بمقدراتها ، واستغلوا ثرواتها ، وتداعوا عليها كما تداعى الأكلة على قصعتها ، فتتابعت الحملات الصليبية ، والهجمات التترية ، وتهاوت الحضارة الإسلامية فى الأندلس ، بعدما نعمت بها ثمانية قرون ، وسقطت دويلات المسلمين

(١) سورة التوبة ، من الآية (٣٢) .

فى أيدى العابثين المستعمرين ، وبدأت حملات التغريب ، وسياسات تجفيف المنابع الخيرية فى الأمة ، ومسخت الهوية الإسلامية فى كثير من بلاد المسلمين ، وعلت الشعارات القومية والنعرات الطائفية ، تلتها الحدود الجغرافية ، والتقسيمات الإقليمية ، وخطب كثير من المنتسبين إلى الإسلام ود أعدائهم ، فاستبيحت مقدساتنا المسلمة ، وعبث بأرضنا ، ونحيت شريعة الله فى كثير من البلاد ، بل أقيمت المتاريس ضدها بأجيال انتزعت هويتهم ، وتربوا على فكر أعدائهم ، وسممت جملة من مناهج التعليم ، ووسائل الإعلام – فى كثير من بلاد المسلمين – فأفرزت أجيالاً نافرة عن دينها ، منسلخة من قيمها ، رأت فى دينها تأخراً ورجعية.

وعلمنا أن على أهل الإسلام الذين أعزهم الله – ﷻ – بهذا الدين ، وشرفهم بحمل أمانته يوم أن عجزت السماوات والأرض والجبال عن حملها - ؛ مسئولية كبيرة تجاه هذا الدين ؛ تعلماً وتعليماً ، ودعوة وإصلاحاً ؛ لأنه لا مخلص لعالم اليوم – من أزماته وأوضاعه المتردية – إلا الإسلام الحق على خطى نبيه (ﷺ) وسلفه الصالح ، فأمتنا أمة مليئة بالكفاءات ، ثرية بالطاقات ، زاخرة بالقدرات ، فى شتى التخصصات .

وللحوادث سلوان يسهلها ... وما لما حل بالإسلام سلوان
ألا نفوس أبيّات لها همم ... أما على الخير أنصار وأعوان ؟!
لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان فى القلب إسلام وإيمان! [1]

جعل الله هذا العمل من العلم النافع فى الدنيا والآخرة ، وأسأله – تعالى – أن يغفر زلاتى وسهوى وخطئى ، وأن يتقبل جهدى ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، كما أسأله – تعالى – أن يسدد خطى العاملين ، وأن يبارك فى جهود الغيورين ؛ لنصرة دينهم ، وخدمة أمتهم وبلادهم ، إنه خير مسئول ، وأكرم مأمول، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) الأبيات للشاعر الأندلسى أبى البقاء الرندى ، ينظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – لأحمد بن محمد المقرى التلمسانى (٤٨٨/٤) ط : دار صادر – بيروت – ١٣٨٨ هـ - ت/ د: إحسان عباس .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

١- إحياء علوم الدين – أبو حامد الغزالى – ط : دار المعرفة – بيروت .

٢- أدب المفتى والمستفتى – لأبى عمر الشهروزى – ط : مكتب العلوم والحكم وعالم الكتب – بيروت – الأولى – ت/ د. موفق عبد القادر .

٣- الأدب المفرد – للإمام البخارى – ط : دار البشائر الإسلامية – بيروت – الثالثة – ت/ محمد فؤاد عبد الباقى .

٤- إسلام بلا مذاهب – دكتور/ مصطفى الشكعة – ط : الدار المصرية اللبنانية – العشرون .

٥- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين الشنقيطى – ط : دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م – ت/ مكتب البحوث والدراسات .

٦- الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات – د/ محمد هاشم عنبر .

٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين – لابن قيم الجوزية – ط : دار الجيل – بيروت – ١٩٧٣م – ت/ طه عبد الرؤوف سعد .

٨- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى – مطبعة السنة المحمدية – القاهرة – الثانية – ١٣٦٩ هـ - ت/ محمد حامد الفقى .

٩- الباعث على إنكار البدع والحوادث – عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة – ط : دار الهدى – القاهرة – الأولى – ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨/ - ت/ عثمان عنبر .

١٠- البداية والنهاية – للحافظ بين كثير الدمشقى – ط: مكتب المعارف – بيروت.

١١- تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الحسينى الزبيدى – ط: دار الهداية – ت / مجموعة من المحققين .

١٢- تاريخ مدينة دمشق – ابن هبة الله بن عبد الله الشافعى – ط : دار الفكر – بيروت – ١٩٩٥م – ت/ محب الدين أبى سعيد عمر بن غرامة العمرى .

١٣- التحرير والتنوير – محمد الطاهر بن عاشور – ط : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م – ت/ محمد الطاهر بن عاشور .

١٤- تحفة الترك فيما يجب أن يعمل فى الملك – إبراهيم بن على بن أحمد الطرطوسى نجم الدين – ط : دار الطليعة – بيروت – الأولى – ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م – ت/ رضوان السيد .

١٥- الترغيب والترهيب – عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١٧ هـ - ت/ إبراهيم شمس الدين .

١٦- تفسير البغوى – ط : دار المعرفة – بيروت – ت/ خالد العك .

١٧- تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى – ط : دار الفكر – بيروت – ١٤٠١ هـ .

١٨- التفسير الكبير – أو : مفاتيح الغيب – لـ : فخر الدين الرازى الشافعى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م – الأولى .

١٩- تفسير حقى – إسماعيل حقى الحنفى – ط : دار إحياء التراث العربى .

٢٠- التقرير والتحبير فى علم الأصول – ابن أمير الحاج – ط : دار الفكر – بيروت – ١٤٧ هـ - ١٩٩٦ .

٢١- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل – لـ : محمد بن الطيب الباقلانى – ط : مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان – الأولى – ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م – ت/ عماد حيدر .

٢٢- تهذيب الكمال – للحافظ المزى – ط : مؤسسة الرسالة – بيروت – الأولى – ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م – ت/ د: بشار معروف .

٢٣- تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان – لـ : عبد الرحمن بن ناصر السعدى – ط : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م – ت/ ابن عثيمين .

٢٤- جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير) – جلال الدين السيوطى – ط : دار الفكر – ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م – ت/ عباس أحمد صقر وأحمد عبد الجواد .

٢٥- جامع البيان عن تأويل آى القرآن – للإمام محمد بن جرير الطبرى – ط : دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥ هـ .

٢٦- الجامع لأحكام القرآن – لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى – ط : دار الشعب – القاهرة .

٢٧- الحكم بغير ما أنزل الله – أحواله وأحكامه – د/ عبد الرحمن بن صالح المحمود – ط : دار طيبة للنشر والتوزيع .

٢٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى – ط : دار الكتاب العربى – بيروت – الرابعة – ١٤٠٥ هـ .

٢٩- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – عبد القادر بن عمر البغدادى – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٩٩٨م – ت/ محمد نبيل طريفى وإميل يعقوب .

٣٠- الدر المنثور – للإمام : جلال الدين السيوطى – ط : دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣م .

٣١- درء تعارض العقل والنقل – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م – ت/ عبد اللطيف عبد الرحمن .

٣٢- ديوان الأعشى – ط : مكتبة الآداب – الإسكندرية – ١٩٥٠م – ت/د : محمد حسين .

٣٣- ديوان زهير بن أبى سلمى – ط: دار المعرفة – بيروت – الثانية – ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م – ت/ حمدو طماس .

٣٤- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام – محمد بن إسماعيل الصنعانى – ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت – ١٣٧٩ هـ - الرابعة – ت/ محمد عبد العزيز الخولى .

٣٥- سنن ابن ماجه – محمد بن يزيد أبو عبد الله القزوينى – ط : دار الفكر – بيروت – ت/ محمد فؤاد عبد الباقى .

٣٦- سنن الترمذى – محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذى – ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت – ت/ أحمد محمد شاكر وآخرون .

٣٧- سنن الدارمى – لأبى عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى – ط: دار الكتاب العربى – بيروت – الأولى – ١٤٠٧ هـ - ت/ فواز زمرلى – وخالد العلمى.

٣٨- السنن الكبرى – أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١١ هـ - ١٩٩١م – ت/ عبد الغفار البندارى – سيد حسن .

٣٩- شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة – لأبى القاسم اللالكائى – ط : دار طيبة – الرياض – ١٤٠٢ هـ - ت/ د/ أحمد سعدان .

٤٠- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه – سعد الدين التفتازانى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م – ت/ زكريا عميرات .

٤١- شرح السنة – الحسين بن مسعود البغوى – ط : المكتب الإسلامى – دمشق – بيروت – الثانية – ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م – ت/ شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش .

٤٢- شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبى العز الحنفى – ط : المكتب الإسلامى – بيروت – الرابعة .

٤٣- شرح النووى على صحيح مسلم – لأبى زكريا يحيى بن شرف النووى – ط: دار إحياء التراث العربى – بيروت – الثانية – ١٣٩٢ هـ .

٤٤- شرح ديوان المتنبى – المسمى – التبيان فى شرح الديوان – لأبى البقاء العكبرى – ط : دار المعرفة – بيروت – ت / مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى .

٤٥- شعب الإيمان – لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١٠ هـ - ت/ محمد السعيد بسيونى زغلول .

٤٦- صحيح ابن حبان – ط : مؤسسة الرسالة – بيروت – الثانية – ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م – ت/ شعيب الأرناؤوط .

٤٧- صحيح البخارى – المسمى : الجامع الصحيح المختصر ... لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى – ط : دار ابن كثير – اليمامة – بيروت – الثالثة – ت/د . مصطفى ديب البغا – ١٩٨٧م – ١٤٠٧ هـ .

٤٨- صحيح مسلم – المسمى : المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله (ﷺ) لـ : مسلم بن الحجاج النيسابورى – ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت – ت/ محمد فؤاد عبد الباقى .

٤٩- صفة الصفوة – لابن الجوزى – ط : دار المعرفة – بيروت – الثانية – ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م – ت/ محمود فاخورى ومحمد رواس .

٥٠- العقد الفريد ، لابن عبد ربه – ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – الثانية – ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .

٥١- عمدة القارى شرح صحيح البخارى – بدر الدين العينى – ط : دار إحياء التراث العربى – بيروت .

٥٢- فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف فى وجوب تعظيم الشريعة وتحكيمها – ط: دار اليسر – القاهرة – الأولى – ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .

٥٣- فتح البارى شرح صحيح البخارى – لابن حجر العسقلانى – ط : دار المعرفة – بيروت – ت/ محب الدين الخطيب .

٥٤- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير – لـ : محمد بن على بن محمد الشوكانى – ط : دار الفكر – بيروت .

٥٥- الفروع وتصحيح الفروع – محمد بن مفلح القاسمى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١٨ هـ - ت/ أبو الزهراء حازم القاضى .

٥٦- فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية – الشيخ : عبد الله الدميجى – ط : المنتدى الإسلامى التابع لمجلة البيان .

٥٧- الفوائد – لأبى عبد الله شمس الدين محمد بن أبى بكر أيوب بن سعد الزرعى الدمشقى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الثانية – ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

٥٨- فيض القدير – عبد الرؤوف المناوى – ط : المكتبة التجارية الكبرى – مصر – الأولى – ١٣٥٩ هـ .

٥٩- قواعد التحديث – محمد جمال الدين القاسمى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

٦٠- قوت القلوب فى معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد – مكى بن أبى طالب – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الثانية – ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م – ت/ د: عاصم الكيالى .

٦١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التنزيل – لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى – ط : دار إحياء التراث العربى – ت/ عبد الرزاق المهدى .

٦٢- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال – علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م – ت/ محمود عمر الدمياطى .

٦٣- كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة – عبد الرحمن السديس – ط : مكتبة الرشد – مكة المكرمة – الأولى – ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م .

٦٤- لسان العرب – ابن منظور – ط : دار صادر – بيروت – الأولى .

٦٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – لـ : على بن أبى بكر الهيثمى – ط : دار الريان للتراث / دار الكتاب العربى – القاهرة – بيروت – ١٤٠٧ هـ .

٦٦- مجموع الفتاوى – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى – ط / مكتبة ابن تيمية – الثانية – ت/ عبد الرحمن النجدى .

٦٧- مختار الصحاح – لأبى بكر الرازى – ط : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م – ت/ محمود خاطر .

٦٨- المدخل إلى السنن الكبرى – للإمام البيهقى – ط: دار الخلفاء للكتاب الإسلامى – الكويت – ١٤٠٤ هـ - ت/ محمد ضياء الرحمن الأعظمى .

٦٩- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ابن حنبل – لـ : عبد القادر بن بدران الدمشقى – ط : مؤسسة الرسالة – بيروت – الثانية – ت/د . عبد الله بن عبد المحسن التركى – ١٤٠١ هـ .

٧٠- المستدرك على الصحيحين – محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابورى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م – ت/ مصطفى عبد القادر عطا .

٧١- مسند الإمام أحمد بن حنبل – ط : مؤسسة قرطبة – مصر .

٧٢- مسند البزار – البحر الزخار – لأبى بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار – ط : مؤسسة علوم القرآن – مكتبة العلوم والحكم – بيروت – المدينة – الأولى – ١٤٠٩ هـ - ت : محفوظ الرحمن زين الله .

٧٣- مسند الطيالسى – سليمان بن داود الطيالسى – ط : دار المعرفة – بيروت .

٧٤- مشكاة المصابيح – محمد بن عبد الله الخطيب التبريزى – ط : المكتب الإسلامى – بيروت – الثالثة – ١٩٨٥م – ت/ محمد ناصر الدين الألبانى .

٧٥- المصنف – لأبى بكر عبد الرازق الصنعانى – ط : المكتب الإسلامى – بيروت – الثانية – ١٤٠٣ هـ - ت/ حبيب الرحمن الأعظمى .

٧٦- المصنف فى الأحاديث والآثار – لأبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة – ط : مكتبة الرشد – الرياض – الأولى – ١٤٠٩ هـ - ت / كمال يوسف الحوت .

٧٧- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية – ابن حجر العسقلانى – ط : دار العاصمة – السعودية – الأولى – ١٤١٩ هـ - ت/ د : سعد الشترى .

٧٨- مظاهر التشبه بالكفار فى العصر الحديث وأثره على المسلمين – أشرف بن عبد الحميد بن محمد بارقعان .

٧٩- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول – حافظ بن أحمد حكمى – ط : دار ابن القيم – الدمام – ١٤١٠ هـ - الأولى – ت/ عمر بن محمود أبو عمر .

٨٠- المعجم الأوسط – للطبرانى – ط: دار الحرمين – القاهرة – ١٤٥١ هـ - ت/ طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسينى .

٨١- المعجم الكبير – سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى – ط : مكتب الزهراء – الموصل – ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م – الثانية – ت/ حمدى عبد المجيد السلفى .

٨٢- المفردات فى غريب القرآن – لأبى القاسم الحسين بن محمد الأصبهانى – ط : دار المعرفة – لبنان – ت/ محمد سيد كيلانى .

٨٣- مقاييس اللغة – لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا – ط : دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م – الثانية – ت/ عبد السلام هارون .

٨٤- مقدمة فى اختلاف المسلمين وتفرقهم – طارق عبد الحليم – محمد العبدة – ط : دار الأرقم – الثانية – ١٩٨٦م .

٨٥- منهاج السنة النبوية – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – ط : مؤسسة قرطبة – الأولى – ١٤٠٦ هـ - ت/ د. محمد رشاد سالم .

٨٦- منهاج السنة النبوية – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى – ط : مؤسسة قرطبة – الأولى – ١٤٠٦ هـ - ت/ د. محمد رشاد سالم .

٨٧- الموافقات فى أصول الفقه – إبراهيم بن موسى اللخمى الغرناطى الشاطبى – ط: دار المعرفة – بيروت – ت/ عبد الله دراز .

٨٨- الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف الكويتية – ط : دار السلاسل – الكويت – الثانية .

٨٩- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – أحمد بن محمد المقرى التلمسانى – ط : دار صادر – بيروت – ١٣٨٨ هـ - ت / د : إحسان عباس .

٩٠- هكذا علمتنى الحياة – د/ مصطفى السباعى .

٩١- هكذا فهم الصحابة – الشيخ : صالح الشامى – ط : المكتب الإسلامى – بيروت .

مواقع وشبكات :

- الدرر السنية .
- دعاة أون لاين .
- شبكة النور .
- صيد الفوائد .
- مفكرة الإسلام .
- منبر التوحيد والجهاد .
- ويكبيديا الموسوعة الحرة .

الفهـــــرس

مقدمه ٦٧٢
تمهيد ٦٧٦
المبحث الأول : من أسباب الفرقة : عدم الاعتصام بالله وكتابه ٦٧٨
طرف مما جاء فى السنة النبوية والآثار حول الاعتصام ٦٨٢
ثمرات الاعتصام بحبل الله ٦٨٤
المبحث الثانى : من أسباب الفرقة : ترك الحكم بما أنزل الله ٦٨٦
التعريف اللغوى والشرعى للحكم ٦٨٦
تحكيم الشريعة ومنزلته ٦٨٦
المبحث الثالث : من أسباب الفرقة : عدم فهم النص فهماً سليماً ٦٩٠
المبحث الرابع : من أسباب الفرقة : العصبية البغيضة ٦٩٤
المبحث الخامس : من أسباب الفرقة : الجهـــل ٦٩٧
تنبيهـــــات ٦٩٩
المبحث السادس : من أسباب الفرقة : الغلو فى الدين .
مظاهر الغلو ٧٠٤
أسباب الغلو ٧٠٤
الآثار المترتبة على الغلو ٧٠٥
علاج الغلو ٧٠٦
المبحث السابع : من أسباب الفرقة: التشبه بالكافرين واتباع سننهم ٧٠٨
مفاسد التشبه بالكافرين ٧٠٩
المبحث الثامن : من أسباب الفرقة: إتباع الهوى ٧١٢
المبحث التاسع : من أسباب الفرقة: الابتـداع ٧١٥
أسباب الضلالة والابتداع ٧١٧
المبحث العاشر: من أسباب الفرقة: التشنيع على أولـى الأمر والتقول عليهم وتأليب الناس ضدهم ٧١٨

المبحث الحادى عشر : من أسباب الفرقة: تقديم الرأى على قول الله وقول رسوله ٧٢١
المبحث الثانى عشر : من أسباب الفرقة: الإعجاب بالرأى ٧٢٤
أسباب الإعجاب بالرأى ٧٢٦
المبحث الثالث عشر : من أسباب الفرقة: استحكام قوة الحسد فى النفوس . ٧٢٩
علاج الحسد ٧٣٢
المبحث الرابع عشر : من أسباب الفرقة: قطع الأرحام ٧٣٤
عقوبة قاطع الرحم فى الدنيا ٧٣٥
عقوبة قاطع الرحم فى الآخرة ٧٣٦
أسباب قطيعة الرحم ٧٣٨
علاج قطيعة الرحم ٧٣٩
المبحث الخامس عشر : من أسباب الفرقة: وجود علماء انحرفت عقائدهم . ٧٤١

الفصل الثانى : الأسباب الخارجية لفرقة الأمة ٧٤٧
المبحث الأول : مكائد الكفار للمسلمين ٧٤٨
المبحث الثانى : الاستعمار وأثره على فرقة الأمة ٧٥٣
المبحث الثالث : الغزو الفكرى وأثره على فرقة الأمة ٧٥٦
الخاتمـــة ٧٦٠
المصادر والمراجع ٧٦٢
فهرس الموضوعات ٧٧١